أنت موهوب

كتاب عصري لمجتمع موهوب

الطبعة الأولى
1441 هـ / 2020 م

اسم الكتـــاب: أنت موهوب كتاب عصري لمجتمع موهوب
المـــؤلـــــف: د. محمد غازي خلف
موضوع الكتاب: تنمية بشرية
المراجعة اللغوية: عبدالقادر أمين
عدد الصفحات: 192 صفحة
عدد المـــلازم: 12 ملزمة
مقاس الكتـاب: 14 x 21
عدد الطبعـات: الطبعة الأولى
رقـــم الإيـــداع: 23533 / 2018
الترقيم الدولي: 2 - 769 - 278 - 977 - 978 :ISBN

التوزيع والنشر:

دار البشير للثقافة والعلوم
القاهرة - جمهورية مصر العربية
هاتف: 01012355714 - 01152806533
E-mail: elbasheer.marketing@gmail.com
elbasheernashr@gmail.com

أنت موهوب

كتاب عصري لمجتمع موهوب

يَكشف مواهبَك الدفينة ويُبرز قدراتِك المخبوءة

د. محمد غازي خلف

دار البشير للثقافة والعلوم

إهداء

أخي القارئ، أختي القارئة، هذا كتابي، (أنتَ موْهوب)
بين أيديكم،
حاولتُ فيه إماطةَ اللّثام عن مواهبِنا المخبوءة، ومسحَ
الغبارِ عنها
لتخرجَ إلى النّور، فتبصرَ الطّريق السّديد، بل وتُضيء
لغيرها؛ حتّى
ينتشرَ الضياءُ ويعمَّ الأرجاء.
تقبّلوه منّي؛ لأنّكم تمتلكون مواهبَ فريدة، ومهاراتٍ
متعدّدة.

محبّكم: محمّد غازي خلف

بسم الله الرحمن الرحيم

المقــدّمة

عندما أمسكتُ قلمي، وأردتُ الكتابةَ في هذا الجانب، وأنْ أخطّ فيه ما قدّره الله لي أنْ أخطّه، أخذتُ أبحثُ وأنقّب عن ما كتب حولَ هذه القضايا فيما بين يدي من مؤلّفات ومواقع إلكترونيّة، فهالني ما وجدتُ من كثرةِ ما كُتب عن المواهب والقُدرات في مجال الفنّ والرّقص واللّعب، وما يدورُ في فلكِها، وكأنّ أرحامَ الأمّة عقمتْ أن تلدَ موهوبين في مجالاتٍ أخرى تعودُ بالنّفع والفائدةِ على المجتمع لتتركَ أثرًا في الأمة.

فكما يبدو لكلّ ذي عينين بصيرتين أنّ إغفال الجوانبِ الإيجابية في المجتمع وتغطيتها، بل وتهْميشها وإبرازَ الجوانب غير النّافعة وتلميعها؛ قد بدا واضحًا جليًّا، فها هي الموسوعات العالميّة الشّهيرة، وكذلك بعضُ القنوات الفضائية، والبرامج الأكثر شهرة، تقدّم النماذج

في مجالاتٍ لا تُسمن ولا تغني من جوع، وتسلّط الضوءَ على جوانبَ لا تقدّم شيئًا للدّين ولا للدّنيا، وهي أقربُ إلى الفكاهةِ والتندّر منها إلى الأمثلة التي يُحتذى بها، ويُقتدى بسيرتها.

ولعلّك توافقني حينَ أقول: ما الفائدةُ التي تعود على المجتمع عندما يرى أثقلَ رجلٍ في العالم؟! وما النّفع الذي تجْنيه الأمّة عندما تشاهدُ أضخمَ أسدٍ هجينٍ وجد في إحدى الغابات؟! وما الفائدةُ المرجوّة من معرفة أكبر امرأةٍ وأطول رجلٍ وأصغر طفلٍ وأكبر طفل؟! إلى غير ذلك من النّماذج التي تُعرضُ علينا!.

في الوقت ذاتِه الذي دُفنت فيه مواهبُ نافعة، وقدراتٌ يانعة، وأهيلَ عليها غبارُ النّسيان، حتّى صارت نسيًا منسيًّا، وكانت تحتاجُ إلى مَن يزيل غبارَها، ويمسح درَنَها، ويأخذ بيدها لطريق النّور، ويمدّ لها يدَ المساعدة.

مِن ثمّ جاءت فكرةُ هذا الكتاب ليكونَ عونًا لكلّ إنسان لديه استعدادٌ لإبراز دوره، وتفعيل مواهبِه التي منحَه الله إيّاها وحَبَاه بها، وآملُ أن يعمّ نفعُه، وأنْ يكون ذخرًا لكاتبه، وقارئه، وكلّ مَن ساهم في نشره.

المؤلّف

أنتَ موْهوبٌ بلا شكّ

لا ريبَ أنّ كلّ مخلوق يتحرّك في دنيا الناس، وله قلبٌ نابض، ونَفَسٌ يخرج ويعود، لديْه من المواهب والقُدرات والاستعداد الفطري الذي منحه الله إيّاه ما يجعله شخصًا متميّزًا نافعًا، يستطيع أنْ يرتقي، وأنْ يصعد إلى عالم التّطور والتّقدم، لكنّ البعض يهملُ ما منحه الله إيّاه، ويعرِض عنه، وربّما ينشغل بغيره، ويبتعد عن نقاط القوّة الممنوحة له؛ فيضيّع وقتَه، ويهدر زمنَه، ويظلِمَ قدراتِه.

لقدْ خلقنا الله تعالى بمَلَكات وقدراتٍ ومواهب، وما علينا إلّا أنْ نسعى لاكتشافها، ومسح الغبار الذي قد يَعلَقُ بها، وبقدْر صدْقنا في السّير إليها والبحث عنها، وثباتِنا أمام العقبات التي تواجهنا، وقوّتِنا في مواجهة الأفكار المغلوطة التي تعترضُ طريقنا؛ نصلُ إليها ونمتلكها.

ومِن ثمّ، فأنا أدعوك- أخي القارئ، وأختي القارئة- إلى الجلوس لدقائق مع نفسِك في خلوةٍ هادئة أثناءَ تناولك لمشروبٍ

تفضّله، وأنْ تمسك قلمك لتخطّ المواهب التي منّ اللهُ بها عليك، وستجد- صدّقني- أنّك تملك الكثير، ثمّ قمْ بصقْل هذه المواهب، ومحاولة تطويرها، والعمل عليها، فالمواهبُ تحتاجُ إلى تدريبٍ ومِران؛ لتصيرَ مهاراتٍ ناجحةً وقدرات هادفة.

وإليك أمثلة على ذلك:

موهبةُ الخطّ- موهبةُ الصّوت الحَسن- موهبةُ الرّسم- كتابةُ الشّعر- التّصميم- التّدريس والتّعليم- البرمجة؛ إلى غير ذلك...

لا تجلسْ فقط هنا، وتنتظرْ من العالم أن يقدّم لك الفرصة، أو أنْ يمدّ ذراعيه لك ليحتضنَك ويضمّك؛ لأنّ العالم متجاهلٌ بطبيعته، وتجاهله محتومٌ لَمن قبَع في مكانه، وضمَّ ذراعيه، فلم يسعَ لمقابلته واعتناقه.

والمُهمّ في جميع الأحوال أنْ تبدأ أنتَ باكتشاف مواهبِك، فليس أحدٌ يستطيع أنْ يخلق فيك مواهبَ ليست موجودةً لديك.

وأنْصحُك بإبراز مواهبِك؛ لذاتِ الموهبة، ولتعدّي نفعها للآخرين، ولجلبها الرّضا لروحِك، ولكوْنها سببًا في استقرارِك النّفسي، ولإضفائها الشّعور بالإيجابيّة، وليس من أجل الشّهرة، أو من باب السّعي لها فسوف تأتيك وهي راغمة، دونَ ملاحقتها،

ودونَ أنْ تفرض نفسَك عليها، أو تحيا لخدمتِها، وحين تحظى بها ينبغي أنْ تتيقّن أنّ ضريبتَها باهظةُ الثّمن.

وهذه الخطواتُ تُساعدكم في تنميةِ مواهبكم وإتقانِها، أوصي نفسي وإيّاكم بها:

- تفرّغْ لموهبتك- بعد اكتشافها-، ولا تبخلْ عليها بجزءٍ كبير من وقتك وتفكيرِك.

- اقرأ كثيرًا فيما يتعلّق بهذه الموهبةِ وتلكَ المَهارة.

- تحرّ الجديدَ، وما يتمّ طرحُه بخصوص موهبتِك لتقف عليه.

- تواصلْ مع الخُبراء في هذه الموهبة لتستفيدَ من خبراتهم وتجاربهم.

- حاولْ أن تبدعَ في موهبتك، وأنْ تصل فيها إلى ما يُمكن أن تصلَ إليه.

فما عليكَ إلّا أن تبدأ وتعمل، وكلّ مخلوق قد يسّره الله لما خُلق له. قال تعالى ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]

قال ﷺ: «اعْمَلُوا؛ فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ» رواه البخاري.

زُبدةُ القوْل:

- اقتنعْ بأنّك موهوب... وتلك البداية.
- ليستِ الموهبةُ عطيّةً لأناس معيّنين؛ بل هي منحةٌ ربّانية للجميع.
- أنتَ موهوبٌ، وتملك قدراتٍ متميّزة، ولكن إنْ أردت.
- الجميعُ يعرفون أنّك موهوب، وقليلٌ هُمُ الذين يحفّزونك.

هل الموهبةُ وراثة؟

أعتقدُ- والقارئ الكريمُ يوافقني هذا الرّأي- أنّ كلّ شخصٍ موهوب، وأنّ المشكلة تكمنُ في البحث عنْ هذه المواهب وإبرازها للنّور، ومسحِ الغبار عنها، والتّرابِ الذي علِق بها.

ومَن يعزو المواهبَ إلى الوراثة، فقد حكمَ بالفشل على كثرةٍ كثيرة، ومن ينسبُ العبقرية إلى الوراثة فقدْ ظلم أجيالًا عديدة، والواقع يؤكّد ذلك، فقد ترى عبقريًّا ومُبدعًا ليس لأبيه نصيبٌ من ذلك، ولم يعرفْ ذلك عن جدّه أو أجداده، وفي المقابل ترى شخصًا لا يتميّز بشيء من المواهب الظاهرة، وقد انْحدرَ من أسرةٍ مشهودٍ لها بالتميّز والإبداع، بل ربّما ترى التباين الواضحَ داخل الأسرةِ الواحدة، فبعضُ أبنائها لديهم مواهبُ متعدّدة، وبعضُهم لا تظهر مواهبُه ولا تتّضح؛ ممّا يدلّل على أنّ الموهبة لا ترجع إلى الوراثة فقط، بل تعود إلى البيئةِ المحيطة المؤثّرة، والتّنشئة السليمة.

فالموهبةُ هي استعدادٌ فطريّ منحها الله تعالى للمخلوق، وتنمو

بالتدريب وتصقلُ بالمِران، فحُسن الخطّ موهبةٌ تنمّى بالممارسة ومعرفةِ قواعد الخطّ، والتّدريب على ذلك؛ وحُسْن الصّوت موهبةٌ تصقُلُ بالممارسة والتّدريب، وهكذا...

كما ينبغي أنْ ندرك أنّ الموهبةَ لا ترتبط بذكاءِ الفرد، بل إنّ هناك مواهب لدى الأفـراد المُعاقين (أصحاب الاحتياجات الخاصّة) عمومًا، بل والمعاقين عقليًّا في بعض الأحيان.

وبالنّظر في الواقع المُحيط بنا نرى كثيرًا من الكتّاب والأبطال واللاعبين لم يرثوا ذلكَ عنْ غيرهم، ولم يكونوا بحجم آبائهم وأجدادهم؛ بل يزيد مستواهم أو ينقُص في الغالب، ولكَنّ البيئة والتّنشئة السّليمة هي التي تغذي الموهبة، وتروي ظمأها وتدفعُ عجَلتَها؛ لتصلَ بها إلى طريق الإبداع، كما أنّ البيئة غيرَ الملائمة التي تفتقرُ للخبرة في التّعامل مع الموهوبين- أو تتعمّد ذلك- تقتلُ الموهبة وتدمّر الموهوبين، وتقضي على الإبداع والمُبدعين.

ومثالُ عدم التّعويل على الوراثة بشكل كامل ما كان يقوله الشّاعرُ الكبير «خلف بن هذال»: (وهبَني اللهُ الشّعرَ وأبي وجدّي ليسوا شعراء).

فالاستعدادُ الفطريّ لدى الفرد، وتوفّر البيئة المناسبة هُما عاملان أساسيان لوجود المواهب وإبراز الموهوبين.

زُبدةُ القوْلِ:

- الموهبةُ هبةٌ من الله، يُعطيها لمَن يشاء، ويهبُها لمَن أراد.
- ميولُك إلى مجالٍ تجد نفسَك فيه؛ هو الموهبة.
- الكثيرُ من النّاس يلعبون، ويصمّمون، ويرسمون، ويصنعون، ويكتبون؛ والقليلُ مَن يبدعون في مجالهم، ويدخلون التاريخ!.
- تلعبُ البيئةُ المناسبة دورًا كبيرًا في تنميةِ المواهب والموهوبين؛ فاحرصْ على وجودِك في بيئةٍ صالحة.

نعم.. لديْكَ قدرات

كنْ واثقًا في نفسك، مقتنعًا بما تملكه، فلديْك قدراتٌ هائلة، تمكنّك من الوصول إلى التميّز والنّجاح، لديْك قدرات في الحفظ والمذاكرة.. لديك قدراتٌ في العمل والإنتاج.. لديك قدراتٌ في التّصميم والمونتاج.. لديك قدراتٌ في الإدارة والقيادة.. لديك قدراتٌ عجيبة؛ فقط، ثقْ بنفسك، واستغلّ هذه القدراتِ لمصلحتك.

ودليلُ امتلاكك لهذه القدرات: أنّها حين تُسند إليك وتكلّف القيام بها؛ تُقبل عليها، وتعطيها حقّها، وتتفانى في تأديتِها على الوجْه المقبول.

إنّك لا تجيدُ الكتابة لأنّك لم تحاول أنْ تكتب يومًا ما، ولا تجيدُ القراءة لأنّك لم تكلّف نفسك أنْ تقرأ يومًا ما، ولا تجيدُ الإدارة لأنّك لم تتمرّن عليها يومًا ما، ولا تجيد التّصميم لأنّك لم تمارسه يومًا من الأيام، ولا تجيد الرياضة لأنّك لم تتدرّب يومًا ما؛ فالقدرةُ موجودة بداخلنا فطريًّا، لكنّ المهارة لا تتطوّر إلّا بالتّدريب والمِران

والممارسة، وقد يستغرقُ ذلك ساعاتٍ أو أيامًا أو أسابيعَ أو حتّى شهورًا لتحقّق هدفك، وكلّما كانت أهدافك سامية؛ فلا تبخلْ عليها بساعات عمرك، فحبسُ اللّحظات خيرٌ من دوام الحسرات.

العاجزونَ من البشر عن التّقدم، يظهرون لك عجزَهم لتكون مثلهم لتعمّ المصيبةُ فينعمون بذلك؛ لأنّ الكثيرَ من الأشخاص تغيظهم محاسنُك لأنّهم لا يتمتّعون بها، ولا يعيبون مساوئك لأنّهم يجدونها في أنفسهم فلا تحفلْ منهم بهذا أو ذاك.

لو أمعنَ كلّ شخص النّظرَ فيما حوله من قدراتِ الأشخاص التي مُنحوها وحباهم اللهُ بها لاكتشفَ منها الكثيرَ في نفسه؛ حيث لا يخلو منها إنسانٌ له قلبٌ ينبض، وروحٌ تسري في جسده.

فلوْ فرضنا أنّ ثلاثةَ تلاميذ في الصّف لدى معلّم واحد، ووضعنا لهم أسماء، فسمّينا الأوّل محمد، والثّاني محمود، والثّالث أحمد.

محمّد طالبٌ مجدٌّ في دراسته، يقوم بحلّ واجباته، ونادرًا ما يخفق في الإجابة على المسائل الرّياضية، فيحصل على أعلى الدّرجات النهائية على الرّغم من أنّ محمّدًا- مع تميّزه هذا وتقدّمه- نادرًا ما يقدّم حلولًا مبتكرة وأفكارًا مخترعة.

أمّا محمود، فليس له قدراتُ التّحصيل الدّراسي، ومهاراتُ حلّ الواجبات كما هو الحال مع محمّد، ولكنّه يستطيع أن يقدّم حلولًا جديدة، وأساليبَ متنوعةً، وأفكارًا إبداعية لحلّ بعض الأمور.

أمّا أحمد- وهو في نفس الصّف، ومع نفس المعلّم- فلا تظهر عليه النّجابةُ في حلّ الواجبات والأفكار الجديدة، كما هو الحال مع محمّد ومحمود؛ لكن المعلّم كثيرًا ما يلجأ إليه لحلّ بعض المشكلات الصفّية، فهؤلاء الثلاثة لا يخلو واحدٌ منهم مِن مواهبَ وقدراتٍ منحهم الله إيّاها في جانبٍ من الجوانب، ورزقهم شعاعًا من الخير في ناحيةٍ من النّواحي، ولعلّ هذا هو المعنى الذي جاء في حديث النّبي ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ...» رواه مسلم .

زُبدةُ القوْل:

- لا تحصرْ قدرتَك في مجالٍ واحد؛ فلديْك قدراتٌ متعدّدة.
- إذا كنتَ حقًّا تعرفُ قيمتك؛ فتقدّم لتحقّق ما تستحق.
- لا تقلْ تأخّرتُ بسبب شخصٍ ما، فلا تلومنّ إلّا نفسك.
- لا تحزنْ وتبْكِ لتتراجع؛ وإنّما لتتقدّم.

مواهبُك سرُّ سعادتِك

إنّ اهتمامَك بمواهبك وعنايتَك بها جديرٌ أنْ يحقّق لك السّعادة التي يطمح فيها الطّامحون، ويسعى لنيْلها السّاعون، والتي حارَ في تحديد معناها الفلاسفةُ والنفسيّون، فحصرَها بعضُهم في جانبِ الملذّات، ووجدَها آخرون في جانبِ المال، وما يطلبُه المرءُ من شهوات، وما هي إلّا رضاؤك عن نفسِك، وانشغالُك بما ينفعك، ثمّ تعدّي هذا النّفع للآخرين.

وهلْ بعد الرّضا شيءٌ يُطلَب؟! إنّه نعمةٌ يهبُها الله مَن يشاء مِن عباده، يجلبُ السّعادة، ويدعو إلى النّشاط، ويحفّز على السّعي والكفاح.

كمْ من أناس عاشوا ثمّ فارقوا الحياة يبحثون عن الرّضا ولمْ يصلوا إليه، ولم ينالوه؛ لأنّهم ينظرونَ إلى ما يملك غيرُهم، ويغفلون عن الثروة التي يمتلكونَها هُم، ينظرونَ إلى ما في أيدي النّاس، وليست لهم قناعة بما لديهم من مواهبَ وقدراتٍ وإمكانات، يستطيعون أنْ يحقّقوا بها الكثيرَ والكثير.. لا يحاولون الكشفَ عن مواهبهم المدفونة في نفوسهم المُبدعة، فقد تكون موجودةً ولم يكتشفْوها بعد.

والحادثةُ التي أسوقُها إليك تستطيع أنْ ترى فيها ذلك.

كانَ هناك رجلٌ أنيقٌ للغاية، يشهدُ له الجميع بالذّوق والرقيّ في التّعامل. وذات يوم وقف ليشتري بعضَ الخضروات من المحلّ الموجود في واجهة منزلِه، أعطتْه البائعة العجوزُ أغراضَه، وتناولت منه ورقةً من فئة العشرين دولارًا، ووضعتْها في كيس النّقود، لكنّها لاحظتْ شيئًا!.

لقد طبعتْ على يدها المبلّلة بعضَ الحبر، وعندما أعادت النّظرَ إلى العشرينَ دولارًا التي تركها السيدُ الأنيق وجدت أنّ يدها المبتلّة قد محتْ بعضَ تفاصيلها، فراودتْها الشّكوك في صحّة هذه الورقة، لكن هل من المعقول أنْ يعطيها السيّد المحترم نقودًا مزورة؟ هكذا قالت لنفسها في دهشة.

ولأنّ العشرين دولارًا ليستْ بالمبلغ الهيّن في ذاك الوقت؛ فقد أرادت المرأةُ المرتبكة أن تتأكّد من الأمر؛ فذهبتْ إلى الشّرطة، التي لم تستطعْ أن تتأكّد من حقيقة الورقة الماليّة، وقال أحدُهم في دهشة: لو كانت مزيّفة فهذا الرجلُ يستحقّ جائزةً لبراعته!.

وبدافعِ الفضول الممزوج بالشّعور بالمسئولية، قرّروا استخراج تصريحٍ لتفتيش منزل الرّجل.

وفي مخبأ سرّيّ بالمنزل، وجدوا- بالفعل- أدواتٍ لتزوير الأوراق المالية، وثلاثَ لوحاتٍ كان قد رسمها هو وذيّلها بتوقيعه.

المُدهش في الأمر أنّ هذا الرّجل كان فنّانًا حقيقيًّا، كان موهوبًا ومبدعًا للغاية، وكان يرسم هذه النّقود بيده، ولوْلا هذا الموقف البسيط جدًّا لما تمكّن أحدٌ من الشكّ فيه أبدًا.

والمثيرُ أنّ قصّة هذا الرجل لم تنتهِ عندَ هذا الحد!.

لقد قرّرت الشّرطة مصادرةَ اللّوحات، وبيعَها في مزاد علني، وفعلًا بيعت اللّوحات الثلاث بمبلغ (١٦٠٠٠) دولارًا؛ حينها كادَ الرّجل يسقط مغشيًّا عليه من الذّهول، إنّ رسمَ لوحة واحدة من هذه اللّوحات يستغرق بالضبط نفسَ الوقت الذي يستغرقه في رسمِ ورقة نقديّة من فئة عشرين دولارًا!.

لقد كان هذا الرجلُ موهوبًا بشكل يستحقّ الإشادة والإعجاب؛ لكنه أضاع موهبتَه هباء، واشترى الذي هوَ أدنى بالذي هو خير.

وحينما سأل القاضي الرّجلَ عن جُرمه، قال: إنّي أستحقّ ما يحدث لي؛ لأنّني ببساطة سرقتُ نفسي قبل أنْ أسرق أيّ شخص آخر.

فمَن يا تُرى يستيقظ قبلَ فوات الأوان؟.

زُبدةُ القوْل:

- سـعـادتُـك تـكـمُـنُ فـي عـنـايـتِـك بـمـواهـبـك، وسعيِك لاكتشافِها وتنميتِها.
- مـواهـبُـك فـيـك، فـاللـهُ قـد خـلـقَ الـمـواهـب، ووزّعها على بني آدم.
- لا تهْدرْ وقتَك، وتنفقْ عمرَك في الانْشغال بما يملك غيرُك؛ فأنتَ تملك الكثير.
- مواهبك موجودة، لكنها تريد منك أن تمد ذراعيك نحوها.

لا تعبأ بالمثَبِّطين

لا أجدُ وصفًا لهؤلاء المثبّطين غير أنّهم قومٌ عاجزون عن الصّعود، فيحاولونَ إسقاطَ غيرهم ليهدأ بالُهم، وتستريحَ نفوسُهم، ويشفى غليلُهم، قال تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ٤٧﴾ [التوبة: ٤٧].

ابتعدْ عنهم؛ لأنّ هدفهم التّقليلَ من طموحاتِك ونجاحاتك، إنّهم يقتلونك في الجلسة الواحدة سبعينَ مرّة، وأفعالهم هذه إنّما هي أفعالُ الصّغار، أمّا الكبار فيشعرونك بقيمتك، ويرفعون مِن شأنك، ويدفعونَك للأمامِ بأقوالهم وأفعالهم وأحوالهم.

هؤلاء المثبّطون لا يخلو منْهم مكانٌ أو زمان، فاجعلْ بينك وبينهم حاجزًا معنويًّا إنْ عجزت عن إقامة حاجزٍ حسّي؛ فهُم شياطينُ الأنس، ينفثونَ سُمومَهم دون أنْ تشعرَ بهم، ولهم كذلك دروبٌ ومسالك، فتارةً بالهمْز واللّمز، وأخرى بالسّخرية الكلاميّة، وثالثة بالاستهزاء بالفعل.. فامْضِ في طريقك، ولا تلتفتْ لهم، فلو

كانَ الطّريق من السّهولة بمكان لسلكوه، ولكن خارتْ عزائمهم، وفَترتْ هِمَمُهم، واستسلموا للرّاحة، فصدرَ منهم هذا الصّنيع.

وأبشّرك- أيّها الموهوب- بأنّ نقدَهم اللاذعَ، وأفعالَهم السّاخرة، هي بمثابة شهادةِ حضورٍ لك، وعلامة على وجودك في ميدان العمل وساحةِ التّنافس؛ فهُم إنْ حاولوا قطفَ ثمارك فمِن جانبٍ آخرَ يرْوونَ شجرةَ عزمك وهمّتك ليثبُتَ أصلُها، ويكون فرعُها في السماء.

وخذْ عبرةً مِن حَبْرِ الأمّة، فهو بحرٌ بلا ساحلٍ من العلم، فعندما أراد ابنُ عباس- رضي الله عنه- أنْ يطلب العلمَ في صغره، سأل رجلًا من الأنْصار أنْ يرافقه في درْبه، فقال له مثبّطًا «يا عجبًا لك يا ابنَ عبّاس، أترى أنّ النّاسَ يحتاجون إليك؛ وفي النّاس مِن أصحاب رسول الله- ﷺ - مَن فيهم!!». ودارت الأيّامُ والسنون، فصار الناسُ يكتظّون في مجلس ابن عبّاس، فقال ذلك الأنصاريّ عندما رأى ابنَ عباس قد تربّع على عرشِ العلماء: «ذلك الفتى من قريش كان أعقلَ منّي".

أليسَ من الطّبيعي أن يحبّ الشّخصُ الطموحُ الدّعمَ من الآخرين، وأنْ ينتظر منهم التّقديرَ والاهتمام لَما يقدّمه من نجاحاتٍ ويتجاوزُه من إنجازات؟! فنحنُ بشرٌ ونتأثّر بما يقال حولنا، لكنْ يأبى البعضُ إلّا أنْ يكون شوكةً في طريق التقدّم، وعقبةً في مشوار تحقيق الأحلام، وحجرَ عثرةٍ أمام خطوات النّجاح.

ودعْني أدلّك- أيّها القارئ الكريم- على طريق النّجاة مِن هؤلاء، وعدم الوقوع في شباكِهم، والبعد عنْ أنْ تكون فريسة لهم:

أوّلًا: لا تجادلْهم؛ فإنّ الجدال معهم عقيم، والدّخولَ معهم في معركةٍ دخولٌ لا فائدةَ منه إلّا خسران الوقت، وفقدان الأعصاب.

ثانيًا: استمرّ في نجاحك؛ فهو أغلى عقوبةٍ تقدّمها لهم، وأزعمُ أنّك لا تجد أفضل منها لتسديه إليهم، وإنْ كان نجاحك ورقيّك ليس لذلك فحسب؛ لكنّه حتمًا سيؤلمهم.

ثالثًا: ابحثْ عن صداقاتٍ حقيقيّةً؛ فإنّ الصّداقة المزيّفة كالعملة المغشوشة لا تصلح لشراء النّافع، وكذا الصّديق المزيف لا ينفع في المواقفِ الحقيقيّة، وقد نظلمُ كلمة الصداقة إذا أطلقناها على كلّ شخصٍ يقابلنا في صفحاتِ الحياة وسوق الوجود.

رابعًا: فرّقْ بين النّقد البنّاء والهدّام، فبعضُ النّاقدين لك قد يكون في كلامِهم ما يحتاج إلى تحليل، وما يستحقّ أنْ ينظر فيه للارتقاء بالذّات وتطويرها، فانتبهْ لذلك، وانْأى بنفسك عن الصّفات السلبيّة الممقوتة، من؛ الكبْر وعدم قبول الرّأي الآخر، قال تعالى ﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ ﴾[الأحزاب: ١٨].

زُبدةُ القوْل:

- الـكـثـيـرُ مـن الـنّـاس تُـحـزنُـهـم مـزايـاك، لا مثالبُك؛ لأنّهم يشعرون أنّ مزاياك تصغّرهم، ومثالبَك تكبّرهم، ونصيحتي: ألّا تبالي.
- إنـجـازُك الـدّائـم، وسـعـيُـك الـدءوب؛ أفـضـلُ عقوبةٍ تقدّمها لهؤلاء المثبّطين.
- عـنـدمـا يـكـونُ لـك هــدفٌ واضـــحٌ تـسـعـى لـتـحـقـيـقـه، يـخـالـجُ صــدرَك، وتـقـشـعـرّ له جوارحُك؛ حينَها لن تلتفتَ إلى الوراء.

كنْ شخصيّةً جذّابة مؤثّرة

يميل النّاسُ للشّخصية الجذّابة التي تترك بصمةً في النفوس، وأثرًا طيبًا في القلوب، فيشتاقون للحديث معها، ويَطْربون لرؤيتها، ويتوقون لظلّها الخفيف اللّطيف.

والشّخصيةُ الجذّابة هي النّاجحةُ في عملها، والمتميّزة في علاقتها مع الآخرين، هي شخصيّةٌ قويّة، لا تلين أمام الصّعاب، تمتاز بقوّة الإرادة والعزيمة والشّكيمة، إنّها لا تعترف بالفشل، ولا تستلمُ للهوان، توازنُ بين متطلّبات الحياة؛ فتعطي كلّ ذي حقّ حقّه، فلا تجور على حقّ الأسرة على حساب العمل، ولا تُهْمل العملَ من أجل الأسرة.

إنّها شخصيّة تمتاز بالهدوءِ والرّزانة والصّبر والمثابرة وضبط النّفس والسيطرة على الانفعالات، قال ﷺ: «ليس الشديدُ بالصُّرعة، إنّما الشّديد الذي يملك نفسه عند الغضب» متفق عليه.

هي شخصيّةٌ لا تحبّ النّفاق، وتفرّ من التملّق، وتكره الغشّ والكذبَ والخداع، شخصية قياديّة عقلانيّة، إذا وضعت في موضعٍ

قيادة كانت على قدْر المسئوليّة، شخصيّةٌ موضوعية، شخصيّةٌ لا تلعنُ الظّلام لكنّها تضيء فيه الشّموع، وتحوّل المحنةَ إلى منحة، شخصيّةٌ صبورة في الضّراء، شكورةٌ في السّراء.. «عَجَباً لأَمْرِ الْمُؤْمِن إنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلكَ لأَحَد إلّا للْمُؤْمِن: إنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَه، وَإنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خيْرًا لَه » رواه مسلم.

تحبّ الخيرَ للآخرين "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» متفق عليه.

لا تتسلّق على أكتافِ الغير، ولا تصعدُ على حسابهم؛ وإنّما تكافح بشرفٍ لتصل لمرادها وتحقّق غايتها.

البعضُ يظنّ أنّ الشّخصيةَ الجذّابة المؤثّرةَ هي التي تهتمّ بالمظهر الخارجي فترتدي أفضلَ الثّياب، وتضعُ أرقى العطور، وتنتقي أطيبَ الكلمات؛ ولكنّ هذا لا يكفي لتكون شخصيّةً جذّابة، بل لا بدّ أن تكون جميلًا من الدّاخل؛ فهذا هو الجَمالُ الحقيقي.

ودعْني أدلّك على بعضِ صفاتِ هذه الشّخصية:

التّواضُع: حيث إنّ غالبيةَ النّاس تنفرُ من الشّخص المتعالي، الذي يُشعِر مَن حوله أنّه أعلى منهم في كلّ شيء، بينما يتميّز

الشخصُ الجذّاب بقرّبه من النّاس، وتواضعه في التّعامل معهم، وعفويّته، وتلقائيّته في الحديث إلى الآخرين.

الاحـترام: حيث إنّ الشّخصَ الجـذّاب غالبًا ما يستخدم التّعاملَ اللّطيف، ويُظهِر الاحترامَ الحقيقيّ للآخر، ممّا ينعكس على ردّةِ فعْل الشّخص المقابل.

تقبّلُ النّقد: تقبّلُ النّقد من الآخرين بسعةِ صدر دونَ انفعال غيرِ مدروس، سواءً كانت النيّة من وراء النّقد النّصحَ أم الحقْد.

الهدوءُ والرّزانة: إذْ إنّ الشّخصيةَ الجذّابة غالبًا ما تكون رزينةً هادئةً متوازنة.

الابتسامة: فالشّخصُ الجذّاب لا بدّ أن يتمتّع بابتسامةٍ ساحرة وعفويّة دائمة، فيبتعد عن العبوسِ في وجْه الآخرين.

الاهتمامُ بالمظْهرِ الخارجي: حيث إنّه لا يقلّ أهميّة عن جوهر الإنسان وشخصيّته، لكن لا ينبغي أنْ يكون هوَ كلّ شيء كما يظنّ البعض.

زُبدةُ القوْل:

- لكي تـكونَ شخصيَّة جَذَّابـة يـجبُ أن تكونَ ناجحًا في عملك.
- عنـدما تمـتلكُ الـثـراءَ الـمعـرفـيّ؛ ستكون شخصًا أكثر جاذبية.
- الشّخصيةُ الجذّابة إنّما تؤثّر في الآخرين بـداخـلـهـا قبـل أن تـتـرك أثــرًا بـالـمظـهـر الخارجي.
- فـرضُ الـسّـطـوةِ واسـتـخـدامُ الـقـوّة يـنـافي الشّخصيةَ الجذّابة.

أيّها الموْهوبُ، أوْجز وأنْجز

كثيرًا ما يثقلُ علينا الشّروعُ في تحقيق إنجازٍ ما، إمّا لطوله أو لكثرته، فتضعف همّتنا وتخورُ عزيمتُنا تجاهه، فالشخصُ الذي يريد أنْ يقوم بعملٍ رياضيّ كلّما خطر بباله أنّه سيستغرقُ فيه ساعةً أو ساعتين رجعَ القهْقرى، وتراجعَ عن فعْل ذلك؛ والشّخصُ الذي يطمع أنْ يكون قارئًا جيدًا إذا نظرَ للكتاب الذي أعدّه للقراءة، ووجدَه من الحجْم الكبير، وأنّ عددَ الصّفحات بلغَ مبلغًا كبيرًا؛ تقاعسَ عن القراءة، وعزَفَ عنها، والإنسانُ الذي يريد أن يقطع مسافةً ما كلّما نظرَ لطولها هالَهُ ذلك، وخشيَ الإقدامَ على قطعها، وهكذا.

ولعلّ ذلك هو ما دعا كثيرًا من الكتّاب المُعاصرين للكتابة حوْل ترغيب الناس في عاداتٍ صغيرة، ودعوتِهم للعمل في وقتٍ وجيز، وأنا أنصحُ نفسي وإيّاك- أيّها الموهوب- بسلوكِ هذا المسْلَك، والسّير على نفس الدّرب، فابدأ بالإيجاز، وبعد فترةٍ وجيزة ترى الإنجاز «سُئِلَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أيُّ الأعْمَالِ أحَبُّ إلى اللَّهِ؟ قَالَ: أدْوَمُهَا وإنْ قَلَّ. وقَالَ: اكْلَفُوا مِنَ الأعْمالِ ما تُطِيقُونَ». رواه البخاري.

فإنْ كنتَ شغوفًا بحفْظ القرآن؛ فقلّلِ المحفوظَ في بداية الأمر، والقليلُ إذا انضمّ إلى القليلِ صارَ كثيرًا، وتحقّقَ الحلمُ بفضل الله.

فثقلُ العمل يزولُ بتقسيمِه وتجزئتِه، فلوْ قلتُ لك: قم الآنَ بعمل تمرينِ الضّغط مائة مرّة في وقتٍ واحد؛ سترى ثقلًا، وربّما لا تفعله ما دمتَ حيًّا، لكنّك إنْ قسّمت هذه المائة على عشْرِ مرّات هانَ عليك ذلك فأنجزتَ وأوجزت.

إنّ تطبيقَ هذه القاعدة "أوْجِز وأنْجِز" في حياتنا العملية يوفّر الوقتَ والجهد، ويحقّق نتائجَ رائعة تفوق التّوقعات، فالكثيرُ يماطلون في تحقيق أهدافهم، ويوسوسون في قراراتهم، ويضْطربون في آرائهم، فلا يهدأ لهم بالٌ، ولا تستقرّ لهم سَريرة.

اجتماعٌ تلوَ اجتماع، وخطط إستراتيجية، وجداول تنظيميّة، ولكنْ.. أينَ الإنجاز الحقيقي؟! وما ذلك- في نظري- إلّا لأنّنا أثقلْنا على كواهلنا الأمرَ، وشدّدنا على أنفسنا في الإنجاز، فجاء الأمرُ بالعكس حين خشينا اقتحامَ التّنفيذ لشعورنا بكثرتِه وكبَرِ حجْمه.

حدّثني اليومَ أحدُ المحاضرين البارزين، وهو معروفٌ بانتقاء موضوعاته، ودقّة تخصّصها، وندرةِ طرْحها: أنّه يأتي بمادّة هذه المحاضرات

من خلال تقييده للفوائد العلميّة وتسجيلِه للمسائل الفريدة أثناءَ قراءته ومحاورته للأشْخاص، حتّى تجتمع لديه مادّةٌ متكاملةُ الأركان، فيبثّها في محاضرة علميّة هادفة ممِتْعة؛ حيث لم يلجْ هذا البابَ أحدٌ قبله أو- على الأقلّ- لم يُطرَحْ هذا الموضوعُ بهذه الطّريقة من قبْل، ولم يكنْ نسخةً من غيره، وهكذا أوجز وأنْجزَ وأبْدَع.

هذه الخطواتُ الصّغيرةُ هي التي تحقّق المراد، يقول هيلموت شميت: «الشخصُ الذي يريدُ بلوغَ الهدف البعيد؛ عليه أنْ يخطو الكثيرَ من الخطوات الصّغيرة».

زُبدةُ القوْل:

- اصنعْ راحتَك الدّائمة في أعمالكَ بالإيجازِ الذي يصاحبُه الإنْجاز.
- تقسيمُ الأهداف وتجزئتُها يخفّف ثقلَها، ويدفعُ إلى السّعي في تحقيقها.
- الخطواتُ الصّغيرة المستمرّة تساوي أهدافًا مكتملةَ الأرْكان.
- كنْ على يقينٍ بأنّ مشوارَ تحقيق أهدافك يبدأ بخطوة.. فضَعْها اليوم.

قولُ (لا) كثيرًا ما ينفع

على الرّغم مِن وقع قوْلِ «نعم» في النّفس، وجَمالِ إيقاعِه في الأذن، وسحْره الخلّاب في الاستجابة لما يُطلَب منك.. على الرّغم من ذلك؛ إلّا أَنّ عواقبها قد تكون وخيمةً، وليس في كلّ الأحيان، وإنّما حين تعني التّنازلَ عن الثّوابت، والانصياعَ للتّوافه؛ فلَكَ أن تتخيّل (تتخيّل فقط) استجابتَك لشخص يهدرُ وقتَك ويضيّع زمنَك، أو الأدْهى من ذلك انصياعك لَما يلوّث شرفَك ويلحقُ بك السّبّة والمهانة، حينها تكون كلمةُ «لا» أفضلَ منها بكثير ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾[الكهف: ٢٨].

كثيرٌ هُم في حياتنا مَن يريدون منّا أنْ نتلفّظ بكلمة نعم، لتكون حجّةً علينا وإلزامًا لنا، وبعدها لا ينفعُ النّدم، ولا يجدي البكاء، فالبائعُ يطرَبُ بسماعها منْك، والجليسُ السّوء يسرّ بتلفّظك لها، وصفقاتُ الباطل كلّها تسعدُ بنطقِك لها.

أيّها الموهوب: قلْ «لا» بفنٍّ ودبلوماسية عندَ طلبِ ما هو غيرُ نافع ومفيد، وقلْ «لا» بكلّ صراحةٍ ووضوح عندَ طلبِ ما يخدشُ الحياءَ، ويزعزعُ الشّرف، ويؤثّر في الشّخصية والمكانة، قد تجدُ صعوبةً

في التلفّظ بها، وثقلًا في إخراجها، لا سيّما في أوّل مرّة، وفي بادئ الأمر؛ لكنْ أبشّرك بخفّتها وسهولتها بعد ذلك، وكم مِن مرّة تحرّجنا من قولها فاعترانا النّدم، وأصابنا التأسّفُ بعد فوات الأوان.

نحنُ لا نقول كما يقولُ ويل سميث: «ولأنّك خجلتَ من الرّفض مرّة، صار عليك فعلها كلّ مرّة، البشرُ استغلاليّون، تعلّم ألّا تستحي»؛ وإنّما نقول: لا تخلعْ ثوبَ الحياء، وارفضْ متى كان في الرّفض راحةٌ لك، ارفضْ ما دمتَ مُقتنعًا بأنّ رفضك يصبٌّ في مصلحتِك ومصالح الآخرين، ارفضْ لأنّك لا تخالف دينَك وخُلقَك.

لقدْ أطلقتْ بعضُ الجمعيّات والمؤسّسات عددًا من الحملات مُصدرةً بـ«لا» وهي محقّة في ذلك، وألّف عددٌ من الكتّابِ مؤلّفاتٍ في هذا الصدد، من ذلك: حملة: قلْ «لا» للمخدّرات، وحملة: قلْ «لا» للسّمنة، وحملة: قلْ «لا» للتّدخين، وحملة: قلْ «لا» للتّمييز والعنصرية... إلى غير ذلك من الدّعوات التي ترتقي بالفرد، وتسْمو بالمجتمع، وألّف بعضُهم كتابًا بعنوان: قلْ «لا» وأنقذْ نفسَك «Say no and save yourself" وآخر بعنوان: كيف تقول لا.

وينبغي أنْ تعلمَ أنّك لن تتمكّن من قولها إلّا بعد رسوخِ كلمة "نعم" في ضميرك وشعورِك، فهي القوّة الكامنة التي تحرّكَ جوارحَك للتلفّظ بـ "لا".

فقلْ "لا" بالفمّ المليء، والإيقاع القويّ لمَن يُردْ سرقةَ جهدك وثمرةَ تعبك..

قلْ "لا" بالإيقاع الواضح لمَن يجرّك إلى التّهلكة ويقودُك إلى الضّياع..

قلْ "لا أدري" فيما لا تعلم..

قلْ "لا" للعنف..

قلْ "لا" للّذي يدمّر صحّتك ويقوّض عزمك..

قلْ "لا" للتّسويف..

قلْ "لا" للكسل..

قلْ "لا" للخمول..

قلْ "لا" للغيبة..

قلْ "لا" للنميمة....

﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا ﴾[الأنعام: ١١٦]

ولا تنْسَ قولَ «نعم» لكلِّ نافعٍ ومفيد.

زُبـدةُ القوْل:

- قلْ «لا» لكلّ سلبيّ، وغيّر حياتَك للإيـجابيّة.
- حينَ ينبغي أنْ تقول «لا»؛ فلا تتردّد.
- لا يُمكنكَ تغييرُ العالم مِن حولك، لكنّك تستطيعُ عدمَ الاستجابة لمَن يؤذيك.
- تدرّج في قول «لا»، فقد يبدو الأمرُ ثقيلًا في البداية.

حُبّ الخير للغيْر رقيّ لك

إنّ أصحابَ القلوب الكبيرة والنّفوس العظيمة الذين يحلّقون بأرواحهم نحو العلياء ويسبحون بها في فضاء المعالي، هؤلاء قلّما تستجيشهم دوافعُ الكره والحقد والأنانية، فهُم إلى الحبّ وصفاء النّفس ونقاءِ السّريرة أقربُ منهم إلى تلك المعاني المُشينة الهابطة.

إنّ الشّخص السويّ الذي يحبّ لغيره ما يحبّ لنفسه إنّما يرتقي بروحه إلى عنان السّماء، ويستظلّ بدفء الرّاحة والسّكينة، ويتدثّر برداء المودّة والطّمأنينة، بينما الآخر يمقُت نفسَه، ويعذّب روحَه، ويحيا في صراعٍ لا ينتهي.

ومِن ثَمّ فإنّ ديننا الحنيف دعا إلى أنْ يسود الحبُّ بين الناس لتنمو الحياة وتزدهر، وينتشرَ الخيرُ ويعمّ أرجاء البسيطة.. «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» متفق عليه.

إنّ وصول الخيرِ للغير لنْ يقطع وصولَه إليك، وإنّ ابتسامة الآخرين لن تتسبّب في حزنك، ورزقَهم لنْ يحول بينك وبين ما كُتب لك، وما يتمتّعون به في صحّة وعافية وستْر لن يسلبَك ما أنتَ فيه، فإذا رأيت ما يسرّ إخوانك ـ ممّا أحلّ الله ـ فباركْ لهم، وادعُ لهم بالمزيد، واسألِ الله أنْ يرزقك كما رزقهم، وأنْ يمنحك كما منحهم، ولنْ تخسر شيئًا بل أنتَ صاحب المكاسب، والذي تملك التّجارة الرابحة.. كيف ذلك!؟

أقولُ لك: عندما باركتَ لهم أدخلتَ عليهم السّرور؛ فلَكَ الأجر، وحين دعوتَ لهم دعا لك المَلَك؛ ودعاؤه مقبول، ولمّا دعوتَ لنفسك فإنّ دعوتك لنْ تذهب هباءً؛ فإمّا أن تُستجاب، وإمّا أن تدّخر، وإمّا أنْ يصرف الله عنك سوءًا بها.

شكا إليّ مرّة بعضُهم ممّا يجده من حُرقةٍ في قلبه، وألم في داخله؛ بسبب تفوّق غيره وتقدّمه في جانب من الجوانب، فأشفقتُ عليه وطلبتُ له الرّحمة، وقلتُ في نفسي: لو دعا عليه هذا المتفوّق وذاك المتقدّم؛ ما وجد عقوبةً له أشدّ ممّا هو فيه.

إنّ حبّك الخيرَ لغيرك لا يعني- إطلاقًا- أنْ تجرّد نفسك من حبّ ذاتك، فعلى العكس من ذلك، فهو يقرّر طبيعةً فطريّة وهي أنْ تتسامى وترتقي، وهي أنْ تساعد غيرَك في البحث عن سعادته أثناءَ بحثك عن سعادةِ نفسك، والمجتمعُ الذي يساعد بعضُه بعضًا في البحث عن السعادة يسعَدُ كلّه، ويهنأ جميعُه.

فقدّم السّعادةَ والحبّ لغيرك؛ تجدْ سعادتك ومَن يحبّك.. وإليك هذه القصّة الماتعة:

في دورة تدريبية في أحد المعاهد، كان الحضور خمسين متدرّبًا، وفجأة.. وأثناء المحاضرة سكتَ المدرّب..

وإذا به يقوم بتوزيع خمسين بالونًا على المتدرّبين الذين أثارهم الاستغراب، وانتابتهم الدّهشةُ من صنيعه، ثمَّ طلب منهم أنْ ينفخوها ويربطوها، ويكتب كلُّ متدرّب اسمَه على

البالون بخطّ واضح، ثمَّ جمع البالونات ووضعَها في غرفةٍ صغيرة، فامتلأت بها تقريبًا..

بعدَ ذلك طلب من المتدرّبين دخول الغرفة جميعًا، وأوْعز إليهم أنْ يحاول كلُّ متدرّب العثورَ على البالون الذي يحملُ اسمه خلال أقلَّ من خمسِ دقائق فقط!

عندَ ذاك هاج المتدرّبون وماجوا في محاولةِ العثور على بالوناتهم، وتعرّض بعضهم للدّفع، وآخرون سقطوا على الأرض، انتهتِ الدّقائق الخمس، ولم يستطع أيٌّ منهم الوصولَ إلى غايته، بل إنَّ قسمًا منها انفجرَ أثناء التّدافع، هنا شعرَ المتدرّبون بالحرج والخجل، وبعضهم ينظرُ إلى بعضٍ نظرةَ عتب ولوم!.

ثمَّ أعاد المحاضر عليهم الكَرَّة، وقبل أنْ يدخلوا الغرفة طلب منهم أنْ يأخذَ كلُّ متدرّب بالونًا أيًّا كان الاسمُ الذي يحمله، ويعطيه لصاحبه، وخلالَ أقلّ من دقيقتين إذا بكلّ متدرّب يحمل البالونَ الذي عليه اسمه، وكان الجميعُ سعداء.

فهذه البالوناتُ تمثّل سعادتنا التي نبحثُ عنها، وعندما نبحث عن سعادتنا فقط سيتعذّر علينا أنْ نجدها، ولكنْ عندما نقدّم السّعادة للآخرين، سنجدُ بدورنا مَنْ يمنحُنا السّعادة، فضلًا عن السّعادة بما نقدّمه لِمَنْ نحبّ ومَنْ يحتاج، فيفرح ويبتسم، فنجدُ سعادتنا في ابتسامته، وفرحنا في فرحه.

فهذه دعوةٌ لكلّ مَنْ يبحثُ عن السّعادة.. قدِّم السعادةَ لغيرك يُقدّم لك سعادتك، قدِّم السّعادة لعائلتك.. لأصدقائك.. لزملائك في العمل؛ يقدّمون لك سعادتَك.

زُبدةُ القوْل:

- كـنْ أنـتَ مـصـدرًا لـلـخـيـر دائـمًـا؛ وسيأتيك الخيرُ من حيث لا تعلم.
- أحِبّ الخير للغير؛ لأنّه لن يموت حينَ تغيبُ أنت.
- مهْما فعلتَ فلن تجد سعادتَك إلّا في سعادة الآخـريـن، ولـنْ تعـثـر عـلـى فـرحِـك إلّا في فرحهم.
- مَـن مـدّ يـده لـغـيـرِه سـخّـر الـلـه لـه مَـن يمدّ ذراعيْه إليه.

اقتَصدْ معَ وسائل التّواصل

ممّا لا يختلفُ عليه اثنان أنّ وسائل التّواصل في عصرنا قد تعدّدت، وتنوّعت، وتطوّرت حتّى وصلت لكلّ الطّبقات، واستحوذت على كلّ الفئات، وأصبح لا يستغني عنها البعضُ، حتّى وصلت بهم إلى درجة الإدمان، فلا يكادُ يفارقها لحظةً واحدة في كلّ صباح ومساء، فغالبُ أوقاتهم ما بين نشرٍ أو قراءةٍ أو دردشةٍ أو تصفحٍ أو تنقلٍ بين صفحاتٍ ومجموعات، ونسي هؤلاء المساكين أنّهم مسئولون عن أوقاتهم وإعمالهم ﴿وَقِفُوهُمْۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ٢٤﴾[الصافات: ٢٤].

فلا يستطيع الإنسانُ أنْ يعزل نفسه عنها، وإنْ تمكّن من ذلك فلا يقدر أنْ يمنع أولاده.

وقد تستولي عليك الدّهشةُ ويعتريكَ الذّهول عندما ترى هذه الإحصائيّات لمواقع التّواصل الشّهيرة لعام ٢٠١٨م..

بعضُ إحصائيات Face book :

اعتبارًا من أبريل ٢٠١٨، أفادَ موقع Face book أنّ عددَ المستخدمين النّشطين يقدر بنحو ٢,٢ مليار مستخدمٍ شهريًّا، و ١,٤ مليار مستخدم نشط يوميًّا.

هناك أكثرُ من ٣٠٠ مليون صورة تمّ تحْميلها على Face book كلّ يوم.

في المتوسط، يتمّ إنشاء ٥ حسابات Face book في كلّ ثانية.

ما يقرُب من ٣٠ ٪ من مستخدمي Face book تتراوح أعمارهم بين ٢٥ و ٣٤ سنة.

لا يزالُ الطّلب على مقاطع الفيديو في Face book مرتفعًا حيث يبلغ عددُ مشاهدات الفيديوهات حوالي ٨ مليارات يوميًّا.

بعضُ إحصائيات YouTube:

عددُ الزّيارات الشّهرية على يوتيوب تبلغ ١,٥ مليار زيارة كلّ شهر.

يقضي المشاهدون ما يعادلُ ساعةً يوميًّا لمشاهدة مقاطع فيديو YouTube.

في المتوسط، يتمّ تحميل ٣٠٠ ساعة من الفيديوهات كلّ دقيقة على YouTube.

هناك أكثر من ٥ مليار مشاهدة للفيديوهات كلّ يوم.

عددُ المستخدمين النّشطين يوميًّا على YouTube يزيد عن ٣٠ مليونًا.

تستغرق الزّيارة على يوتيوب في المتوسط ٤٠ دقيقة.

بعضُ إحصائيات WhatsApp:

يقدّر عددُ مستخدمي واتس أب بنحو ٧٠٠ مليون مستخدم نشط شهريًّا.

يتمّ استخدامه في ١٠٩ دولة.

هناك ما يقرب من ٣٢٠ مليون مستخدم نشط يوميًّا على واتس أب.

في المتوسط، يسجّل مليون شخص على واتس أب يوميًّا.

يتمّ إرسال ٤٢ مليار نَصّ تقريبًا، ويتمّ مشاركة ١,٦ مليار صورة عبر تطبيق واتس أب يوميًّا.

بعضُ إحصائيات Twitter:

يقدّر عددُ المستخدمين المسجّلين على تويتر بـ ١,٣ مليار.

في الوقت الحاضر، يوجد لدى تويتر أكثر من ٣٣٠ مليون مستخدم نشط شهريًّا.

من المستخدمين النّشطين شهريًّا، ٧٠ مليون منهم من الولايات المتحدة.

يبلغ عددُ المستخدمين النّشطين يوميًّا على تويتر حوالي ١٠٠ مليون.

يتمّ تسجيل ما يقرب من ٤٦٠,٠٠٠ حساب جديد على تويتر كلّ يوم.

عددُ التّغريدات اليوميّة هو أكثر من ١٤٠ مليون تغريدة يصل إلى مليار تغريدة في الأسبوع.

كلّ مستخدم تويتر لديه في المتوسط ٢٠٨ متابعًا.

٥٥٠ مليون حساب على تويتر قام بإرسال تغريدة واحدة على الأقلّ[1].

ولا أهدفُ هنا إلى بخْس الفوائد الجمّة التي تعود على الفرد والمجتمع من استخدام هذه الوسائل استخدامًا نافعًا ناجحًا، فلقد تحدّت هذه الوسائلُ الحواجزَ الزّمنية والمكانية، وربطت الشّرقَ بالغرب، والشّمال بالجنوب، في زمن لا يُذكر، فقرّبت البعيد، واختصرت المسافات، وقصرتِ المطوّلاتِ.

لكنّ الإنصافَ يدعوني- أيضًا- إلى أنْ أقول لك، بإخلاص، بأنّ هذه الوسائل قد تكون سببًا في هدْم الأخلاق ونشر الفسق، وذيوع الكذب وفتنة الدين وهدم البيوت، وفي كلّ يوم نسمع ونشاهدُ، حيثُ تؤدّي إلى ضياع الوقت فضلًا على أنّها تؤدّي إلى فقدان التّواصل الحقيقي بين الأشْخاص، واستبداله بالتّواصل

(1) https://www.expandcart.com.

الافتراضي، ممّا يؤدّي إلى انعزال النّاس عن المجتمع الذي كان لُحمةً مُترابطة وجسدًا واحدًا، وتتسبّب في تشتيت الانتباه أثناءَ العمل، لا سيّما عند قيادة السّيارات، وما حوادثُ السّيْر التي تقع بسبب الانْشغال بوسائل التّواصل عنّا ببعيد.

أيضًا تتسبّب في عدم انتظام النّوم، والاستيقاظ بسبب المُشاهدات غير المنظمة.

وتضييع الوقت طامّةٌ كبرى ومصيبةٌ عظمى لا ينبغي للإنسان أنْ يهدر وقتَه، وأنْ يضيع زمنَه الذي منحَه الله «**اغتنمْ خمسًا قبل خمس؛ شبابَك قبل هرمكَ، وصحتَك قبل سَقمِكَ، وغناكَ قبل فقرِك، وفراغَكَ قبل شغلِك، وحياتَكَ قبل موتِكَ**» أخرجه الحاكم في المستدرك.

ينبغي أنْ تحرص على وقتِك أشدّ الحرص، فلا تُنفق منه ساعةً على وسائل التواصل المختلفة، وما أنجزتَ عملًا وما قدّمت نفعًا وما قرأتَ من كتاب ربّك شيئًا، لا يَحْسن بك أنْ تنفق من عمرك السّاعاتِ والسّاعات على هذه المواقع، وتتركَ المهمّات والأولويّات، أتدري لماذا؟ لأنّ عمرَك قصير، ووقتَك ثمين.

اجعلْ هذه الوسائل بابًا من أبواب الخير ونافذةً لنشْر النافع والمفيد، فما أجملَ أن تجعلها وسيلةً لنشْر الفضيلة، والتخلّي عن الرّذيلة، ما أحلى أنْ تجعلها طريقًا للتّعاون على الخير ﴿وَتَعَاوَنُوا

﴿عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[المائدة: ٢].

ما أحسنَ أنْ تتّخذها سبيلًا لنشر السّنةِ النّبوية «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً» رواه البخاري.

واحذرْ من فتن مواقع التّواصل، وقد أخبرني غيرُ واحدٍ أنّه وقع في مصائب جمّة وفتن عظيمة بسببِ هذه المواقع، وظلّ يقرع سنّ النّدم على ما فعل، ولم يُجدِ النّدم ولم ينفع البكاء.

سلْ نفسك كمْ من الوقت تتصفّح الفيس بوك والإنستجرام وتويتر وسناب شات وغيرها؟ وكمْ من الوقت تتعلّم مهارة مفيدةً أو فائدة عظيمة؟ ربّما لا يمرّ بك يومٌ إلّا وتتصفّح هذه المواقع، فهل تقلّب أوراقَ المصحف يوميًّا؟! هل نويتَ أنْ تجعل لها وقتًا، ولحياتك وقتًا آخر؟ هل عزمت على الحفاظِ على عمرك ووقتِك الثّمين الذي هو أغلى ما تملك؟ هل أزمعتَ على إنجازِ أعمالك المتوقّفة، وتحقيق أهدافك المتأخّرة؟!، أنصح نفسي وإيّاك بذلك.

زُبدةُ القوْل:

- ينبغي أنْ نعترف بمشكلة وسائل التّواصل، وأنْ نصرّ على التخلّص منها.
- تنظيمُ الوقت، وتعظيمُ الاهتمامات يساعدُ في العلاج من إدمانِ هذه المواقع.
- بُعدك- القليل- عنْ وسائل التّوصل؛ ربّما يمنحك وصولًا إلى المعالي.
- لوسائلِ التّواصل فوائد، لكنّ ضررَها أكبرُ من نفعها.

رتّبْ يومَك أيّها الموهوب

إنّ النّاظر في الكون مِن حوله يرى أنّه يسير في نظام دقيق مرتّب ومنظّم بقدرة القادر سبحانَه وتعالى، فالشّمس لا تتمرّدُ في الشّروق؛ لتملأ ربوعَ الأرض بالنّور الذي يبثّ النشاط في النّفوس لتحدث الأعاجيب، والأرضُ بما فيها من مُحيطات واسعة وبحار عجيبة وأنهار غزيرة وجبالٍ راسية وصحاري شاسعة ووديانً عميقة والنّباتات بأشجارها الشّاهقة وأوراقها اليانعة وغصونها الملتفّة وجذورها الممتدّة؛ كلّ شيء يسير بنظام دقيق، وبقدَر موزون، وكلّ هذه المخلوقات إنّما خلقت وسُخرّت لخدمة هذا الكائن، وهو الإنسان ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ٣٣ ﴾[إبراهيم: ٣٣].

فعَلامَ يدلّ هذا الترتيبُ العجيب، وهذا النّسق الفريد؟ إنّ له دلالةً أكيدة وهي أنّه ينبغي علينا أنْ نسعى إلى التّنظيم والتّرتيب محاكاةً للكون من حولنا، واقتداءً بعالمنا الذي أبدعه الخالق جلّ جلاله.

إنّ الفوضى والعبثَ لا يولّدان إلّا نتائج سلبية، خاوية من الفائدة، ويشتّتان الذّهن ويدمّران الوقت ويبدّدان الجهد، فقبل أن تشغّل هاتفك اجلسْ مع قائمة مهامّك اليوميّة، وقرّر ما الذي سيجعل يومَك ناجحًا ونافعًا..

وإليك هذه النّصائح التي تساعدك على ذلك:

- ابدأ يومَك مبكّرًا بعد الحصول على ساعاتِ نوم كافية؛ لتحصيل البركة التي حثّنا عليها دينُنا الحنيف «اللَّهُمَّ بَارِكْ لأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا» رواه الترمذي.

فضعْ جدولًا ليومِك قبلَ انشغالك بالمُلهيات والمنغّصات.

- خذْ فواصلَ بين المهامّ، فبين كلّ مهمّة وأخرى، خذْ فاصلًا تسترخي فيه، ويمكن أن يكونَ فاصلًا إيجابيًّا تشاهد فيه ما يُفيد، أو حتّى تسمع ما ينفع.

- تعلّم أنْ تقول «لا»، فمع كثرةِ المشاغل قد تجدُ ما يُبعدك عنْ إنجاز ما تطمحُ إلى إنْجازه، فابتعدْ عن ذلك وقلْ «لا» بقوّة.

- طبّق فكرةَ العدّ إلى رقم خمسة، إذا أردتَ أنْ تنجز عملًا فقد تكسّل النفس أو تتقاعس لأنّها تميل بطبعها إلى الدّعة والسّكون، فقمْ بتنْشيطها وعدّ من رقم واحد إلى رقم خمسة.

ـ نظّم وقتَك.. إنّ أعمالنا تفتقرُ إلى تنظيم الوقت فحسب، ثمّ الشّروع فيها، فينتج عن ذلك الإبداع، ثمّ التّلذذ بالعمل.

فوضْعُ جدولٍ للوقت يمنحُنا التعرّفَ على المهامّ.. وتقديم الأولويّات منها.

ـ اجمعْ بعضَ الأعمال في وقتٍ واحد، فمِن الممكن أن تجمعَ بعضَ الأعمال مع بعض اختصارًا للوقت كأنْ تمشي وأنتَ تشاهد برنامجًا هادفًا، أو تستمع إلى ما هو نافع، وأنت تنسّق مكتبَك.

زُبدةُ القوْل:

- الكونُ منظّم، فلا تكنْ أنتَ فوضويًّا.
- اصنعْ جَمال يومِك بنفسك.. رتّب، احذف، ابتعد....
- تعلّم أنْ تقود يومَك، فليس كلّ مَن يستطيع قيادةَ السيارة يستطيعُ قيادةَ الحياة.
- العشْوائيّة والارتجالُ في يومك لنْ يعطيك إنجازات حقيقية.
- عشْ يومَك كأنّه عامٌ بطموحاته وأهدافه وإنجازاته.

هلْ أنتَ تجدولُ أفْكارك

إنّ القليلَ من التّرتيب يُثمر الكثيرَ من تحقيق الأهداف، حيث إنّ مشكلة الكثيرين لا تكمُن في جهْلهم بمعرفة ما يريدون، وإنّما تكمنُ في كسَلِهم عن ترتيبها وجدولتها، ثمّ السّعي لإنجازها.

كثيرٌ من أفكارنا قد تكون مجرّد أحلام لا أساس لها في الواقع ما لَمْ تقيد أو ترتّب وتجدول، فكمْ وردت إليك أفكارٌ، وكمْ راودتك من خواطر؟ لكنّها ذهبت أدراجَ الرّياح، وصارت هباءً متناثرًا يصعب لململته وجمعُ شمْله؛ لأنّها لم تُقيد ولم تُرتب.

وقد أحسَنَ «كريستوفر باركر» حينَ قال: «إنّ قضاء سبع ساعات في التّخطيط بأفكار وأهدافٍ واضحة، لهوَ أحسنُ وأفضلُ نتيجة من قضاء سبعة أيّام دون توجيه أو هدف».

إنّ الأفكارَ هي العلوم التي تتولّد من خاطرك، والأهداف التي تجود بها قريحتك في وقتِ استرخائك أو انشغالاتك، أو حينَ تمارس رياضتك المفضّلة، أو تتناول المشروبَ المحبّب إليك، أو تأكل أكلةً تتلذّذ بها، فحبّاتُ العقد المتناثرة لا تكوّن شكلًا جماليًّا مألوفًا كما لو

كانت مضمومةً ومتسلسلة حبّة تلوَ الأخرى، في إطارٍ منظّم مرتّب، فهي نفسها الأفكار المنهجة كحبّات اللؤلؤ المنتظمة.

وإليك بعضُ الأفكار التي تساعدك على ترتيب أفكارك والاستفادة منها:

ـ احتفظْ بمذكّرةٍ صغيرة في جيبك، أو سيارتك، أو حتّى سجلّ أفكارك على هاتفك، فلا تدري متى تهجمُ عليك الأفكار؟ في أيّ وقت أو زمن.

ـ ضعْ ورقةً وقلمًا بجانب سريرِ نومك، فالخواطرُ تتوارد ليلًا في جوّ الهدوء والسكينة.

ـ اجلسْ وتأمّل في واقعك ومستقبلك، وضَعْ أفكارك لذلك.

ـ فعّل أفكارَك، وحوّلها لترجمةٍ عمليّة ترتقي بها وتتطوّر.

ـ تحدّثْ إلى نفسك، وسجّل هذا الحديث، وطبّقه في حياتك.

ـ قمْ بفلترة أفكارك، واحذفِ السّلبية منها، وضَعِ الأفكار الإيجابيّة في الملفّات الدائمة الثّابتة.

زُبدةُ القوْل:

- اكتبْ أفكارَك على ورقةٍ كأنّها فهرسُ كتابٍ لتعود إليها باستمرار.
- توظيفُ الأفكار مقدّمٌ على توظيف الأعمال.
- أفكارُك المتطوّرة هي وليدةُ اطّلاعك الدّءوب، وخبراتِك المستمرّة.
- اجعلْ لنفسك وقتًا للتأمّل والاسترخاء؛ لجلْب الأفكار النافعة.

لا تبدّدْ جهدك

أعجبني أحدُ الدّعاة البارزين حين صدرَ ضدّه كتابٌ يهاجمه ويشتمُه، فقال له مَن حوله: أمَا رأيت الكتابَ الذي صدر ضدّك ويسبّك؟ فقال: بلى رأيته. فقالوا له: فلماذا لم تردّ عليه؟ قال: لقد قمتُ بالرّد. قالوا: ما رأينا ذلك؟! فقال: لقد أصدرتُ كتابًا جديدًا.

يا لَه من معنًى عميق وفهْم دقيق، حين ندرك أنّ الالتفات إلى الوراء يكون سببًا في تأخّرنا، وأنَّ النّظر إلى الخلف يعوق تقدّمنا، ويبطّئ حركتنا.

فعلى الرّغم من إيماننا بأهّمية الرّد، وقناعتنا بدحْض كلّ شبهة ودحْرها، إلّا أنّه لا ينبغي أنْ يكون ذلك هو شغلَنا الشاغل وعملَنا الدّءوب، فننجرف خلفَ الرّدود، وننسى معالي الأمور، وهل يريد السّاخرونَ منّا إلّا ذلك؟ وهل يريد المتربّصون بنا إلّا أن ننحدر إلى هذا المستوى؟!.

فلا تبدّدْ جهدك، وتهدر وقتك مع هؤلاء الفوضويّين، الذين يهدمون ولا يبنون، ويخرّبون ولا يصلحون، وهيّا بنا نردّد قول الإمام الشافعي:

يخاطبني السّــفيه بــكلّ قُبح ... فأكــره أنْ أكــون لــه مجيبا

وإنْ كان لا محالة من الرّد ولا غنًى عنه، فيكفيك ردٌّ واضحٌ لا غموض فيه ولا لبْس، ثمّ عليك أن تكمل سيْرَك، وأن تلتزم دربك.

إنّ هؤلاء- وأمثالَهم- يتجاهلون جَمالنا، ويغفلون عن حُسْننا، وما فطرنا الله عليه في أحسَنِ تقْويم، ويصوّبون سهامهم نحو أخطائنا وزلّاتنا التي لا ينفكّ عنها إلّا ملَكٌ مقرّب، أو نبيّ مرْسَل.

فحذارِ أنْ تنساق خلفهم، وتمتطي سفينتهم.

لا وقتَ عنــــدي كي أجادِلَ جاهلًا أو أنْ أعرّضَ بالحســـــودِ وألمِزَه
روحي أعزُّ عليّ من أشــــيائهم ولديّ ما أســـعى إليه لأنجزَه

ومّما حُكي من المواقف النّافعة مع هؤلاء، ما ذكرَ أنّ رجلًا شتمَ الأحنف بن قيس مع عظم قدْره! فلم يردّ عليه، وسارَ في طريقه، فمشى الرّجل خلفه وهو يزيدُ في سبّه وشتمه، فلمّا قرُب الأحنفُ من قبيلته وقفَ وقالَ للرّجل: إنْ كان قد بقي معك شيء قلْهُ كي لا يسمعك أحدٌ في الحيّ فيؤذيك.

إنّني أرى أنّ إطالة الحديث عنهم، وأنّ الاستطراد عن أحوالهم وأفعالهم؛ هو تبديدٌ للجهد وإهدارٌ للوقت؛ لذا سأختصرُ الحديث عنهم، ولعلّك توافقني في ذلك أيها الموهوب.

إنّ الواجباتِ وما نحملُه من مسئوليّات وأعباء لا تسمحُ لنا- إطلاقًا- بالالتفات خلفنا، ولا تبديدِ جهودنا.

زُبدةُ القوْل:

- مهْما كنتَ إنسانًا موهوبًا طيّبَ القلب يعودُ نفعُك على الآخرين؛ فلا بدّ من وجود مَن يحبّونك، كما أنّه لا بدّ من وجود مَن يكرهونك.
- تجاهلْ مَن يتغاضون عن سماتِك، ويركّزون على أخطائك.
- عندَ انشغالك بالكارهين لك أنتَ تمنحهم الفرصةَ التي يريدونها، فضلًا عن وقوعك في الفخّ الذي نصبوه لك.
- قدْ لا يمكنك تغييرُ طبائع النّاس، لكنّك تستطيع أن توجّه طاقتك أنتَ لشيء مُنتِج.

لا تغترّ بالكثرة

مِن أجْمل العبارات التي تجذبني، واستقرّت في خلدي؛ عبارة: «لأنْ تسير وحدَك في طريق النّجاح خيرٌ لك من أنْ تسير مع القطيع الذي يتّجه ناحية الفشل»، نعم هذا صحيح، فقد تذهبُ منفردًا في رحلةٍ ما بلا رفيق ولا أنيس، فتعتريك الوحشةُ وتؤلمك الوحدة، ويتنابك الخوف، لكنّك إنْ أيقنت أنّ سعادتك تنتظرك في نهاية هذه الرّحلة، وأنّ خاتمتها تعود عليك بالنّفع والفائدة؛ فإنّ وحشتك تتحوّل إلى أُنس، وألَمك يتبدّل إلى متعة، وخوفَك يصير أمنًا، ثمّ تصل إلى مبتغاك فتنسى الجراحَ وتتناسى الأحزان، بل وتتوقُ مرّة ومرّة إلى هذه الرحلات وتلك المسافات لترتقي بروحك وتسمو بذاتك.

إنّ الطريق للنّجاح لا يسلكها إلّا القليل، بينما تجدُ الكثرةَ الكثيرة تكتظّ بها الطرق الأخرى المتعدّدة والمتشعّبة، وما ذلك إلّا لأنّها طريقٌ وحيدة فريدة، وغيرها متعدّد، أمَا تلوت قولَ الله تعالى ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾[الأنعام: ١٥٣].

هل تدبّرت هذه الآية؟ ﴿هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا﴾ إنّه واحدٌ لا يتعدد، ومعلوم ومحدّد ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ﴾ فهي كثيرة ومختلفة.

مرّ سيدنا عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- ذاتَ يوم برجل في السّوق، فإذا بالرجل يدعو، ويقول: (اللّهم اجعلني من عبادك القليل، اللّهم اجعلني من عبادك القليل) فقال له سيدنا عمر: مِن أين أتيتَ بهذا الدّعاء؟ فقال الرجل: إنّ الله يقول في كتابه العزيز ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ فبكى سيّدنا عمر، وقال: كلّ النّاس أفقهُ منْك يا عمر.

فهيّا نردّد هذا الدّعاء، وذلك النّداء معًا، ونجعله واقعًا يتحرّك في دنيانا.

فلا تكترثْ بقلّة السّالكين، فكلّما ارتقيت في أهدافك قلّ المُعين والمساعد.

يقول المتنبّي:

أهُــــمّ بشَيْءٍ واللّيَالي كأنّـهَا تُطارِدُنــي عَنْ كَوْنِهِ وَأُطـارِدُ
وَحيدٌ مِنَ الخُـــلاّنِ في كلّ بَلْدَةٍ إذا عَظُمَ المَطلُوبُ قَلّ المُســاعِدُ

اليومَ إذا نصحتَ أحدًا من النّاس بترك خلُق ما، أو التخلّي عن سلبيّة معينة؛ قال لك: أكثرُ النّاس يفعلون كذا، لستُ وحدي!.

وأنا أدعوك للبحثِ في القرآن عن عبارة: «أكثر الناس»؛ لترى ما بعدها، وعن كلمة أكثرهم؛ لتقف على ما ورائها، ثمّ كلّف نفسك قليلًا وابحث عنْ كلمة «قليل»؛ لتتعجّب من نتائج ما وصلت إليه!.

فلا تتألّم إنْ وجدت نفسَك في الممشى وحدك.

ولا تنزعجْ إنْ قعدتَ بمفردك بعد الفجر لتصلّي الضّحى.

ولا تأسَفْ إنْ بقيت في مكتبتك وحدَك تغذّي روحك، وتنهل من علومك، بعيدًا عن الضّوضاء والتّشويش.

لا تتحسّر على موقفٍ كنت فيه شجاعًا بين متخاذلين.

إيّاك أنْ تندم لعدم قبولك للتملّق يومًا ما.

عليكَ أن تفتخرَ لرفضك النّفاق بين قومٍ استمرءوا ذلك، واستطيبوه.

لا تجزعْ عندما تكون وحدَك في طريق الفلاح، فحتمًا ستمتدّ لك يدُ العناية الإلهية وترعَاك الحراسةُ الرّبانية.

زُبدةُ القوْل:

- لا يضرّك التفرّدُ؛ فإنّ طريق المعالي قليلة الرّفقاء.
- مِن الحِكم الشّهيرة: «الكثرةُ لا تُبطلُ حقًّا، ولا تُحِقّ باطلًا».
- لا تغترّ بالكثرة، ولا تزهدْ بالقلّة إذا كنت على الحقّ.
- يقلّ المساعدُ والمُعين حين يَعظُمُ المطلوبُ، وترتقي في أهدافك.

تعلّمْ فنّ الصّبر

كثيرٌ هُمُ الذين يتحدّثون عن الصّبر، وأكثرُ منهم الذين يذكرون أهميته ومكانته، فما تكاد تبحثُ عن هذه اللّفظة في مواقع البحث المعروفة والمتاحة، إلّا وتجد كمًّا هائلًا من المكتوب والمسموع والمرئي عنها، وكلٌّ له طريقتُه في الحديث ومنهجُه في الطرح.

ويكفيك أنْ تعلم أنّ الصّبر مفتاح الخير، وينبغي أنْ نتحلّى به مع أنفسنا ومع الآخرين، ومعَ الأحداث التي تدورُ حولنا- صغيرِها وكبيرِها- فلا يكفي أنْ تحاول أنْ تكون صبورًا؛ بل لا بدّ من تطبيق الصّبر، وتفعيل هذه القوة الهائلة.

إنّنا بحقّ نعيش في عصرٍ نعاني فيه من مرض العجلة، فالبعض لا يتحمّل المدّة التي يستغرقها جهازُ الحاسوب ليفتح، والبعض يتذمّر حين يقف دقائق في طابورٍ ما للحصول على غرض معيّن، والبعض ينزعج عندَ الوقوف أمام إشارةِ المرور التي تنظِّم حركة السّير، ويتعجّل في اختباره الدّراسي حتّى يخرج، فإذا به قد نسيَ الإجابة عن بعض الأسئلة، ثمّ يندم على عجلته ويحزنُ على سرعته.

ربّما لو صبر الشّخصُ الذي طلّق زوجتَه لتَغيّر الأمر، ولو تأنّت المرأة التي ألّحت على زوجها بالطّلاق لتَبدّل الحال.

نَدِمْتُ نَدَامَـــةَ الكُسَـعِيّ لَمّا غَدَتْ مِنّـــي مُطَلَّقَـــةً نَوَارُ
وَكَانَتْ جَنّتـــي، فَخَرَجْتُ منها كَآدَمَ حِـــينَ لَجّ بِـــهِ الضِّرَارُ

ربّما لو تريّث طالبُ العلم في طلبه لنالَ ما تمنّى، ولو تحمّل المربّي في تربية أولاده لبلغَ المُراد، ونالَ المطلوب.

نعم، نحنُ نعيش في عصر إيقاعُه السّرعةُ المذمومة المَقوتة، فكمْ قتلنا أبرياء في حوادثِ الطّرق بسبب السّرعة، وكمْ حكمنا على أشخاص أحكامًا جائرة بسبب السّرعة، وكم ضيّعنا من الفرصِ وفاتنا من المِنَح بسبب العجلة والتسرّع!

إنّ الشّخص الموهوب يحتاج إلى الصّبر افتقارَ الزّرع إلى الماء، والعود الأخضر إلى الهواء.

يقول «جوستاف فولبرت»: إنّ الموهبة هي صبرٌ طويل.

لقدْ عظّمتِ الأدْيان كلّها الصّبر، سواء منها السّماوية أو الوضعيّة، فالصّبور في الإسلام: اسمٌ من أسماء الله الحسنى؛ لبثّ هذا المعنى في نفوس المؤمنين بالله تعالى.

وفي العهد القديم: أيوب -عليه السلام- هو مثالُ الصّبر وقوّة التحمّل.

وصبرُ المسيح عليه السّلام: نموذجٌ يُحتذى به عند النّصارى.

وأتباعُ بوذا: يعتبرون صبرَه طريقَ المعرفة والتنوير.

إنّ علاقة المسلم بربّه تدور حول الصّبر، فالطّاعة يصبر عليها، والمعصية يصبر عنْها، وأقدارُ الله يصبرُ لها، ولكلّ عمل حسابٌ معلوم، وأجرٌ محدود؛ إلّا الصّبر ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾[الزمر: ١٠].

إنّ الصّبر هو طريقُ النّجاح، وهو الذي يمنحنا الاستفادةَ من مواهبنا، ويكشف لنا المخبوءَ منها، ويحول بيننا وبين الغضب والنّدم، ويحْمينا من تسرّب شعور الانهزامية والفشل.

من الطّرق التي تُعين على الصبر:

النّظر إلى الجائزة المترتّبة على الصبر.

التّدريب على الصّبر، فالصّبر كعضلاتِ الجسد، بعضُها مفتول، وأقوى من الأخرى.

الشّعور بالإيجابية حال التصبر.

تذكّر أنّ الحياة تحتاج إلى الصبر.

مواصلةُ العطاء مع الصّبر تدفع للأمام، ولو كانت هادئة.

مَن لي بمثـــل ســـيْرك المدلّلِ   تمشي رويدًا وتجــيء في الأوّلِ

زُبدةُ القوْل:

- الصّبرُ رحلةٌ شاقّة، لكنْ يعقُبها فرحٌ جميل.
- فقطْ قليلٌ من الصّبر يجعل حياتَك حقًّا جميلة.
- تعلّمِ الصّبر؛ فليسَ كلّ يوم رائعًا، والأمورُ ليست دائمًا كما تتمنّاها.
- مِن أجمل اللّحظات، لحظة أنْ يتحقّق ما صبرتَ لأجله.
- الصّبرُ هو: أنْ تهمس في أذنِ الدّنيا بأنّك لن تنحني ما دام اللهُ معك.

كُنْ قويّ الإرادة

لا شكّ، ولا ريب، في أنّك تتّفق معي في أنّ النّفس تميل إلى الرّاحة والسّكون والدّعة والكسل، وما لذّ وطاب من الطّعام والشّراب، فتأتي قوّةُ الإرادة لتقطعَ عنها هذا الطّريق، وتدفعها إلى النّشاط والهمّة والعزم والمثابرة.

وإذا كانَـــتِ النُّفُـــوسُ كِبارًا تَعِبَـــتْ في مُرادِها الأجْســـامُ

فقوّة الإرادة: هي عزيمةٌ في النّفس، ونشاطٌ في القلب يدفعه إلى إنجاز المطلوب، وتحقيق الأهداف، ولو كانت ثقيلة على النّفس غير محبّبة للشخص.

ولا يظنّ أحدٌ أنّ الأمر هيّن وميسور؛ بل يحتاج إلى عناءٍ ومثابرة، فلن تصل إلى بستان النّجاح إلّا بعد المرور بالأشْواك والعقبات التي تعترضُ طريقك الحتميّ الذي يوصلك إلى بغيتك ويقرّبك من هدفك.

منذُ أيام قلائل اشتريتُ لابنتيّ ذواتي الثّمانية سنوات والسّبع؛ دراجتيْن (مكافأة)، وغالبًا ما تكون هذه الدّرجات بمساندَ في

اليمينِ واليَسار، تناسب حالَ المبتدئين الصّغار حتّى يتعوّدوا على التّوازن والقيادة بدونها بعد إتقان القيادة.

بعدَ فترة من الوقت كنتُ حريصًا على نزْع هذه المساند لتعويدهم على الاعتماد على أنْفسهم، والاستمتاع بالقيادة؛ حيث إنّ التّحرر من الاتّكاء على الغير يمنح المتعةَ والسّعادة، ويشْعِر المرءَ بالفخْر بذاته، ويملأ جوانبَه بالطاقة الإيجابية.

فبعدَ فترة وجيزة من نزْعِ هذه المساند، قابلتْنا بعضُ العقبات أثناء تعلّم القيادة بدونها، مِن لكماتٍ وانحداراتٍ وسقوطٍ على الأرض وارتطامٍ بالأعمدة القائمة على جوانب الطرق وغيرها.

فعندما كانت تبكي إحداهُما كنتُ أقول لها أصَبّرها: لا بدّ من المشقّة والتعب للوصول إلى الهدف المنشود، وتحقيق المراد. وكنت أرى اليأسَ تسرّب لإحداهما نظرًا لما لاقته من صدمات، ولعدم التقدّم الواضح في القيادة- من وجهة نظرها-، فكنت أقطعُ سبيلَه، وأحاول قتله في مهْدِه، حتّى صارتا محترفتيْن في وقتٍ وجيزٍ بفضل الله تعالى.

إنّ قصّة الدّراجتين على بساطتها هذه هي: ملخّص لكلِّ ما يقابلنا في سوق الحياة الكبير المتشعّب، فكلُّ مهارة وإنجازٍ إنّما يحتاج إلى أمريْن- بعد توفيق الله سبحانه وتعالى- هُما: قوّة الإرادة، والممارسة.

فإذا كانت الإرادةُ قويّة، والعزيمةُ عالية، فإنّ ضعفَ البدن لا يعدّ مانعًا من اختراق الحواجز، والتغلّب على العقبات والمتاعب، ومخالفة رغبات النفس جهادٌ كبير؛ حيث إنّ طريق المعالي صعودٌ لأعلى، وطريقَ الدّعة والسّكون هبوطٌ لأسفل، وما أصعب الصعود وأسهل الهبوط!

ولذلك جاء في الحديث: «حُفَّتِ الجَنَّةُ بالمَكارِهِ، وحُفَّتِ النَّارُ بالشَّهَواتِ" رواه مسلم.

ونظرًا لكثرة الصّوارف والمشاغل في عصرنا هذا؛ صار جهاد النفس أثقل، والمجاهدة للهوى أشدّ، فكلّما هممتَ بإنجاز عملك دقّ الهاتف، وكلّما أردت أن تحقّق إنجازك جاءت رسالة على وسائل التّواصل، وكلّما شرعتَ في قراءة وردِك خطرَ في بالك أن تتصفّح مواقع الفيس بوك أو تويتر، فثقلَ علينا الانقيادُ لما ينفعنا في الحياة، ولما يحقّق غايتنا، على عكس ما كان من سلفِنا؛ ولذا كان ابنُ المبارك يقول: "إنّ الصّالحين كانت أنفسهم تواتيهم على الخير عفوًا، وإنّ نفوسنا لا تواتينا إلّا كَرْهًا" وما ذلك في ظنّي إلّا لقلّة الصوارف لديهم وكثرتِها في زماننا، فإذا عزمتَ على خير فأقبلْ عليه، واجمعْ أمرَك له.. ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[آل عمران: ١٥٩].

زُبدةُ القوْل:

- إرادتُـك القويّة – بعد توفيق الله – تبلّغك المراد، وتقصّر المسافات.
- مَـن رُزق قـوّةَ الإرادة تـوقّـف عـن كـلـمـة «لا أستطيع»، وكفّ عن كلمة «مستحيل».
- عليكَ أن تتوقّع العقبات، ولكنْ عليك –أيضًا– أنْ لا تسمح لها بأنْ تُثنيك عن التقدم.
- الموهبةُ وحدها لا تكفي– في عالمنا– ما لمْ تتوّج بإصرار وعزيمة قويّة.
- صاحبُ الإرادة القويّة يصمّم على تحقيق أهدافه، فإمّا أن ينجحَ وإمّا أنْ ينجح.

جَمالُك في سجيّتك وطبيعتِك

إذا كانوا يقولون: «الكلْفة تُذهب الألفة» فنحنُ نقول: كنْ على سجيّتك وطبيعتك، فهذا ما يجعلُك مميّزًا بجوهرك، لا تتصنّع، ففطرتُك النّقية مصدرُ جَمالك وعظمتك.

كنْ كالمخلوقات التي خلقها اللهُ في الكون مِن حولنا، فهي لا تعرفُ التكلّف ولا التملّق ولا التّجمل، ويشعّ الجَمال من نواحيها، فها أنتَ ترى الماء الزّلال في الحديقة المبهجة، إنّه حياة للرّوح، وجَمالٌ للعين، وطربٌ للأذن، وملمسٌ هادئ للبدن، ونقاء للثّوب، وذلك حين يجري بطبيعته، ويدور على سجيّته ويهبط بانسيابيّته ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّ ﴾[الأنبياء: ٣٠].

وتلك الخضرةُ اليانعة، التي تخرج بإذن ربّها فتدهشنا بسحْرِها الخلّاب، وتأخذنا بمنظرِها البهيج، فنهفو لرؤيتها ونستمتعُ بملمسها، وغيرها من الجبال والأشجار والبحار.. وقد خلقَها الله لنا في أحْسن صورة، بلا تكلّف ممقوت، أو تصنّع مذموم، بل إنّ هذه المخلوقات يطلق عليها اسمُ الطبيعة؛ لجَمال طبعها، وسحرِ

طبيعتها، نعمْ إنّها طبيعة لكنّها طبيعة ربانية إلهية ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾[النمل: ٨٨].

والعجيبُ أنّه قد يعتري هذه الطبيعة الفساد، ويدخلها التّلف؛ عندما تعبث بها الأيدي البشرية، وتتكلّف في تجميلها وتحسينها.

فكنْ على طبيعتك، وابتعدْ عن شعار المثاليّة المذموم؛ فأنت إنسانٌ يعتريك الفرح، ويصيبُك الحزن، يلحقك النّشاط والهمّة، ويطرأ عليك الكسل، ينتابك شعورُ الفخر، ويحلّ بك الهمّ والغمّ، وإنّما يكمنُ الفرق بينك وبين غيرك في قوّة تعلّقك بخالقك، وشدّة لجوئك لربّك، يتّضح الفرق بينك وبين الآخرين في الاجتهادِ لتحقيق أهدافك والوصول إلى غاياتك.

فكنْ على طبيعتِك حتّى لا تصل لحالةٍ يُرثى لها يومًا ما، حينما تكشف أنّك أرهقتَ نفسك، وآلمتَ روحك ولم يكنْ هناك مَن يستحقّ هذا التكلّف والتصنّع.

كنْ على طبيعتك في معاملتك مع الآخرين؛ تكسب حبّهم وودّهم بدلًا من أن توصف بالمتكلّف المتصنّع حيث يظهرُ ذلك على محيّاك، أردتَ أمْ لم تُرد.

كنْ طبيعيًّا في هندامك، فلا إفراط ولا تفريط.

كنْ طبيعيًّا في غذائك، فلا بخل ولا تبذير.

كنْ طبيعيًّا في تحديد أهدافك، فلا دونيّة ولا مستحيل.

كنْ على طبيعتِك في كلّ شيء...

في التحلّي بالصّدق مع الآخرين.

في تجنّب شعور مَن يحبّك ومَن يكرهك.

في مجاورة الإيجابيّين، والبعد عن السلبيّين والتافهين.

﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَا﴾[الروم: ٣٠]

زُبدةُ القوْل:

- كنْ على طبيعتِك وسجيّتك، فالعالمُ مِن حولنا يدعو لذلك.
- تخلّص من التّكلف والتصنّع لتحيا حياةً هادئة مستقرّة.
- لا تكنْ كالغُراب الذي حاول تقليدَ العصفور في مشيته، ففشلَ بالطّبع، فلا هوَ صار عصفورًا ولا عاد غرابًا!.
- مَن لا يحبّك لأنّك على سجيّتك، فله ذلك، ولا يضيرُك في شيء.
- لا يليقُ بك إلّا أنْ تعيش حياةً تشبهك، وأنْ تتكلّم بكلام يمثّلك، وأنْ تمشي مشية تحاكيك أنت.

حدّدْ وجهتَك.. والْزمْ مسارَك

قدْ تأخذُك الدّهشة، ويعتريك الذّهولُ عندما أخبرك أنّ قطارًا من القطارات انطلق لوجهة ما غير مكترثٍ بزمان محدّد، وغير مبالٍ بمكانٍ معين، وتزداد دهشتُك وتستولي عليك الحيرة إنْ قلت لك: بأنّ القطار قد استقرّ في مكانه وبلغ وجهتَه التي أرادها!!.

إذًا، اسمحْ لي أنْ أقول لك: كيف لا تصدّق ذلك، ولا يستقيم في عقلك هذا الأمر، بل إنّ المنطقَ الصّحيح، والتّفكير السليم يرفضُه ويأباه؛ ثمّ نسوّغ لأنفسنا أنّنا نستطيع إنجاز ما نطمح إليه وتحقيق ما نريد تحقيقَه بغيرِ وجهةٍ أو زمان ومكان محدّديْن، أو هدف وغرض واضحيْن!.

إنّ القطار الذي يحيدُ عن القضبان التي خُصّصت له، وينحرفُ عن مساره الذي أعِدّ للسّير عليه، حتمًا سيسقط ويخلّف خسائرَ فادحة، كما أنّ القطار الذي لا يحترمُ الزّمن ولا يتقيد به، لا بدّ أن يصطدم بغيره ذهابًا وإيابًا، وينتج عن ذلك مفاسد كبيرة.

وكما هو الحال مع القطارات كذلك مع الأشخاص، فإنّ الشّخص الذي لا يعرف إلى أين يسير، وكيف يسير، إنّما يدور في حلقة مفرغة، ويجري خلفَ سراب يظنّه ماء، فإذا جاءه لم يجدْه شيئًا.

أظنّك الآن تطاردُك الأهداف، وتهاجمُك الإنجازات، وتحوم حولَك الآمال، أبشرْ فإنّ العالم يفتحُ ذراعيه لَمن يعرف أين يسير، ويُفسحُ الطّريق لَمن حدّد وجهته، وسَلَكَ دربَه.

نعم، ما الذي يمنعك أنْ تكون شخصًا ناجحًا ومتميّزًا؟ فقط حدّد وجهتَك، والزَمْ مسارَك وانطلق..

وَلَم أرَ في عُيُوبِ النّــاسِ عَيْبًا كَنَقْــصِ القادِرِينَ عــلى التّمَامِ

لا تسرعْ في سيْرك إسراعًا يُجْهدك ويتعبُك، وربّما يوقفك، ولكن كنْ متوسّطًا، وستصل بإذن الله تعالى.

مَنْ لِي بِمِثْــلِ سَــيْرِكَ الْمُدَلَّلِ تَمْشِي رُوَيْدًا وَتَجِــيء فِي الأَوَّلِ

إنّ الصّراع الذي يدور بين قطرةِ الماء والصّخرة يُحسَم في النهاية لصالح قطرة الماء الضّعيفة الهزيلة، وما ذلك إلّا لثباتها واستمرارها ولزوم مسارِها.

منذُ متى وأنت تهدفُ إلى تحقيق مشروع معيّن!

منذُ متى وأنت تهدفُ إلى إنجاز عملٍ ما!

منذُ متى وأنت تطمح أن تكون قارئًا جيدًا!

منذُ متى وأنت تودّ أن تكون مِن حَفظة كتاب الله!

منذُ متى وأنت تريدُ الحصول على بدنٍ رياضيّ رشيق!

فهل حدّدت وجهتَك، والتزمت مسارك؟

انطلقْ على بركة الله.

زُبدةُ القَوْل:

- تحديدُ الوجهة ولزومُ الطّريق يوصلك للغاية، ولوْ كان السّيرُ بطيئًا.
- لا تلتفتْ إلى محبّطات الهمّة القابعة على جانبي الطريق.
- عندما تحدّد هدفَك، وتركّز عليه؛ حينها لا تهزّك الزّلازل ولا تحرّكك النّوازل.
- أحيانًا ستجدُ خطواتِك كبيرةً ومستمرّة، وفي وقتٍ آخر ستراها صغيرةً وبطيئة؛ المهمّ لا تتوقّف.

لا تصعدِ السّلّمَ بقفْزةٍ واحدة

إذا كان المتخصّصون في الصّحة البدنية يؤكّدون أنّ صعود السّلم درجةً تلو الأخرى أفضلُ بكثير في حرق السّعرات الحرارية، ويساعدُ في تحسين الحالة الصّحية وتقدّمها من الصّعود درجتين أو ثلاثة دفعةً واحدة، إذا كان ذلك مقرّرًا من الناحية البدنيّة؛ فإنّ الأمر لا يختلفُ كثيرًا في تحقيق الأهداف والوصول المراد، حيث إنّ السّعي لذلك خطوةً خطوةً يقربك من هدفك، ويُدْنيك من غايتك، ويوفّر جهدك، ويريح بدنك.

وحتّى يتّضح الأمرُ إليك هذا النّموذج لثلاثة أشخاص، كلُّ واحدٍ منهم سلك مسلكًا خاصًّا به، واتّبع طريقة معينة، وعليك أنْ تنظر وتختارَ الأنسبَ لوْ كنت في موضِعهم، وتمثّلت نفسك مكانَهم.

فقدْ قرّروا جميعًا أنْ يقوموا بعمل حِمية غذائية لتحْسين حالتهم الصّحية، وللتّخفيف من أوْزانهم، فقد أخذَ الأوّل العهدَ على نفسه أنْ يمشي كلّ يوم ساعتين، وأنْ يترك تناولَ اللحوم والأسْماك والنّشويات، وأنْ يأخذ من الطّعام ما يسدّ الرّمق فحسب، فما لبثَ

أن توقّف وتراجع للإعياء الذي نزلَ به، والهُزال الذي حلّ بجسده في وقتٍ وجيز، وعادَ لشراهته.

بينما أصاب الثّاني الكسلُ، واعْتراه الخمول، واستسلمَ لحاله، فلم يحظَ قرارُه بشيء من التّنفيذ، ولم يدخل حيّز التطبيق.

أمّا الثّالث فقد اختلف حاله عن أخويْه، فلم يكنْ كالأوّل المُنبتّ، الذي لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى، ولم يتقاعسْ كالثّاني، وإنّما خطا نحوَ هدفه بلا إفراطٍ ولا تفريط، ولم يحمّل نفسه فوقَ طاقتها، فلم يحرّم عليها الطّيبات التي أحلّها الله لها، ولم ينغمسْ بها انغماسًا ممقوتًا مذمومًا؛ لأنّه أدرك أنّ خيرَ العمل أدومُه وإنْ قلّ.

إنّ النّهج الذي انتهجه الشّخص الثالث هو السّبيلُ الوسط، الذي يبتعد عن الزّيغ والشطط، وهو الذي رغّبنا فيه ديننا: سُئل النبي - ﷺ -: أيّ الأعمال أحبّ إلى الله؟ قال: «أدْومُها وإنْ قلّ. وقال: اكلفوا من الأعمال ما تطيقون» رواه البخاري.

إنّ الشّخص الذي لا يسعى إلى تحقيق أهدافه، حالُه كرجلٍ أراد أنْ يبني بيتًا فقام بوضع تخطيطٍ أوّليّ على سطح الأرض لتحديدِ معالم الحجرات والمنافع، ثمّ تركه ورحل، وظلّ بلا بيت.

فالتّخطيطُ هو أهدافك، والأرضُ هي حياتك، والبيتُ الجميل هو ثمرةُ عملك ونتاج جهدك ووقتك.

وإنّ الشّخص الذي يطمحُ أن يكون مثقفًا لو اقتطع وقتًا يوميًّا للاطّلاع والقراءة- ولوْ قلّ- لحقّق هدفه، وأدرك بغيته على عكس المنْبَت.

والذي يرغبُ في تحصيل مهارةٍ ما، لو منحَها قدرًا من وقتِه لممارستِها؛ لأتْقنها.

منذُ الصّغر وأنا أحبّ الخطوط العربية، وأجدُ في نفسي ميلًا للخطّاطين، وأشعر ناحيتهم بأنّهم يمتلكون أناملَ نادرة، وحين يُعانقون أقلامهم كأنّما يحتضنون الجوزاء، وصريرُ أقلامهم يغذّي روحي قبلَ عيني، فعزمتُ على تعلّم هذه المهارة من خلال الوسائل المتاحة بين يدي، ومنحتها قدرًا من وقتي، فبلغتُ فيها مبلغًا تعجّب منه أهلُ هذا الفنّ، وحمدوه لي، ولست منقطعًا لذلك.

فهيّا خذْ بمقولة: «التّهم الفيل» حيث شبّه العلماء تحقيقَ الأهداف الكبيرة بمَن يريد أن يأكلَ فيلًا، فليس أمامه إلّا حلٌّ واحدٌ، وهو أنْ يأكله لقمةً لقمة.

فالأهداف الكبيرة تسلّمك لأهداف سنويّة، والأهداف السنويّة تسلّمك لأهداف شهريّة، والأهداف الشّهرية تسلّمك لأهداف أسبوعيّة، ثمّ يوميّة، وذلك يوصلك لهدفك المنشود.

زُبدةُ القوْل:

- لا تصعدِ السّلمَ بقفزةٍ واحدة؛ فكلّ مرحلةٍ لها خصائصها وطعمُها.
- اجعلْ لك عادةً إيجابيّة يوميًّا تصير سليقة وطبيعة.
- انطلقْ نحو تحقيقِ أهدافك بخطوات متأنّية ثابتة مستمرة.
- سلّمُ الحياةِ لا نهايةَ لدرَجاته؛ فهوّن على نفسِك في الصّعود.
- صعودُك باتّزانٍ في كلّ مرحلة خيرٌ من اهتزازك، ثمّ تسقط.

ما أغْلى ما تملُك؟

ألّمّتْ بي وعكةٌ صحيّة أثناء كتابة هذا المقال أقضّت مضْجعي، وأحالت بيني وبين قلمي فترةً من الزمن، وجعلتني أتجنّب الكتابة بعضًا من الوقت، أسأله- سبحانه- أن يمنّ علينا بالعافية، غيرَ أنّ هذه الوعْكة كانت بمثابةِ رسالةٍ تذكيريّة بنعمة الصّحة، وحسن استغلالها، وإدراك قيمتها، فهي لا تقدّر بثمن، ولا تعوّض أبدًا.

وإذا أردتَ الوقوف على حقيقةِ ما أذكره لك رأيَ العين؛ فما عليك إلّا أن تقوم برحلة سريعة إلى أصحاب الأسرّة البيضاء، وتتجوّل في غرفهم، وتسأل كلّ واحد منهم عن أمنيته، وما يرْجوه في هذه الحياة، ستجدُه لا يرضى بكنوز الأرض، ولوْ عرضت عليه، ولا يقبل ملذّات الحياة الدنيا وإنْ أتيحت له، ولا يهنأ بشيء من المَتاع الفاني، لكنّه يأمل شيئا واحدًا لا يتمنّى سواه، وهو أنْ تعود إليه صحّتُه وأنْ يستردّ عافيته.

ينبغي أنْ نؤمن بأنّ الذي منحنا هذه النّعمة قادرٌ على انتزاعها منّا، فقد تسلب بين عشية وضحاها، بلْ بيْن غمضةِ عينٍ وانْتباهتها،

فحينَ يمنحك اللهُ السّمعَ لتسمع به ما يرضيه فتستخدمه فيما يُغضبه، فهو قادرٌ على انتزاعِه منْك، وحين يمنّ عليك بالعين لترى بها ما يحبّه، فتحوّلها إلى آلة تجلبُ سخطَ الله تعالى؛ فهو قادرٌ على سلبِها منْك، وحين يرزقك لسانًا تتكلّم به الكلمَ الطّيب فتسخّره في ما يتسبّب في مقتِ الله تعالى؛ فهو قادرٌ على أنْ يحرمك منه، ولو اجتمعَ أطبّاء العالم ليعالجوك فلنْ ينفعوك إلّا بشيء قد كتبه الله لك.

كثيرٌ هم الذين لا يشعرون بنعمةِ صحّتهم، ولا ينتبهون لثمن عافيتهم إلّا بعد فقدها أو مرضها أو هزالها، «نِعمتانِ مغْبونٌ فيهما كَثيرٌ مِن النّاس: الصِّحَّةُ والفَراغ» أخرجه البخاري.

إنّ مِن شكْر نعمة الصّحة أنْ تسخّرها فيما يرضي الله، وأنْ تبتعد بها عن كلّ ما يغضبُه، وأنْ تستخدمها في الفضائل، وتعرض بها عن الرذائل.

وربّما جالَ بخاطرك أيّها القارئ الكريم أنّ حديثي السّابق هو إجابةٌ عن تساؤل العنوان (ما هو أغلى ما تملُك؟) ولعلّ ما سوّغ ذلك هو أهميّة الصّحة وعظمة هذه النّعمة، لكنّي أقول لك بأنّه يوجد ما هو أغْلى من ذلك وأثمَن، ولا يعرف قيمتَه إلّا مَن وفّقه الله لذلك، ألَا وهو الوقت؛ فهو الحياة نفسها.

كان أحدُ أساتذتنا في الدّراسات العليا واضعًا لافتةً على الجدار في مكتبه، وقد كُتب عليها: «وقتُنا هو حياتُنا، فإنْ ضيّعته ضيّعتنا»، وكانت في مرمى الدّاخل، فكلّ مَن رآها يختصر ويوجز، وما أحسنَ ما قال شوقي:

دَقّاتُ قَلبِ المَرءِ قائِلَـــــةٌ لَـهُ   إِنَّ الحَيـــــاةَ دَقائِقٌ وَثَوانـــــي
فَارفَع لِنَفسِـــكَ بَعدَ مَوتِكَ ذِكرَها   فَالذِكـــرُ لِلإِنســـانِ عُمرٌ ثاني

إنّ السّعي إلى استغلال الوقت هو طريقُ النّجاح، وهو الإنجازُ الحقيقي الذي يطمحُ إليه الطّامحون، وكلّما كان الفردُ ضابطًا لتفاصيل يومِه بالسّاعة والدّقيقة؛ كان هادئَ النّفس، مستريحَ البال، مستقرّ الفؤاد؛ لأنّه يحيا، ويشعرُ بأنّ للوجود معنًى، وللحياة قيمة وهدفًا، وفي المقابل إنْ كان وقته مهدَرًا وزمنُه مبعثَرًا؛ فلا يشعر إلّا بالخيبة، ولن يحصل إلّا الفشل، ولنْ يجني إلّا الخَسارة؛ لأنّ الوقت الذي يعبثُ به كان زملاؤه وأقرانه يتقدّمون فيه، وينجزون، فإذا به يجد نفسَه قابعًا في مكانه ثابتًا في محلّه، بينما غيرُه قد تقدّم وارتقى.

يقول «أنطون تشيخوف»: "الشّمسُ لا تُشرق في اليوم مرّتين، والحياةُ لا تُعطى مرّتين، فلتتشبّث بقوّة ببقايا حياتك، ولتنقذها".

فلا يحلّ لك أنْ تضيّع ساعةً من عمرك دون تقدّم وإنجاز، وإلّا تأسّفت على ما مضى وعضضتَ أصابعَ النّدم في وقتٍ لا ينفع هذا ولا ذاك.

زُبدةُ القوْلِ:

- الوقتُ هو أغلى ما تملُك، فاحذرْ أن تفقدَه وأنتَ لا تدري.
- تعامُلك مع الوقت بعنايةٍ ينعكسُ على تعامُلِك مع كلّ شيء حولك.
- الشمسُ لا تتوقّف، والقمرُ يدور دورتَه، فلمَ لا تكن أنتَ كذلك؟.
- هيّا توقّف عن تضْييع الوقت، وتعلّم كيفَ تستفيد منه.
- كلّنا نملُك أربعًا وعشرين ساعة في اليوم واللّيلة، لكن ليس المهمّ فيما نملك، وإنّما المهمّ كيف نستفيد بما نملك.

الموْهوبُ يخطّط ويحقّق

لعلّك تتّفق معي في أنّنا قد وضعنا بعضَ الخُطط التي ينبغي أنْ نسير عليها لنرتقي في حياتِنا، لكنّها ذهبت أدراجَ الرّياح، وعلاها غبارُ التّسويف، واختلطت بدخان الأعباء والمشاغل، فصارَ بعضها نسيًا منسيًّا، والبعضُ الآخر في رمقِه الأخير يفتقرُ إلى عمليّة انتعاش تردّ إليه روحَه، وتعيد إليه الحياة من جديد.

إنّ خطّتك واستعدادَك لتحقيق أهدافِك أمرٌ مهمّ للغاية، لكنّه لا قيمة له ولا وزن إنْ بقي قيدَ التّنفيذ، وكنت أنتَ خارجَ نطاق الخدمة، حينها لا يساوي المداد الذي كتب به، والورقَ الذي سُطّر عليه.

لك أنْ تتخيّل معي أنّك نويت أنْ تخرج في رحلةٍ ترفيهيّة، أو حتّى استكشافية، ثمّ أعددت العدّة لذلك، وهيّأت نفسك لها، فعلمت المكان والزمان، وحاجتك لهذه الرحلة، ثمّ لم تسافر فبقيت في مكانك (محلّك سرّ)، لا شكّ أنّك توافقني أنّ هذا أمرٌ يبدّد الجهود، ويهدرُ الأوقات، ويخلو من النّتائج، فمتعةُ الرّحلة وفائدتُها لنْ تتحقّق وأنتَ في مكانك لم تبرحْه، وفي موطنك لم تغادره.

هكذا هي الأهداف، وهكذا حقيقةُ الإنجاز لن يتحقّق شيء منهما إلّا بالعمل والسعي.

فلوْ تصوّرنا أنّ شخصًا رسّامًا وضع خطّةً لرسم لوحةٍ فنية جذابة، وأحضر أدوات الرّسم، وأعدّ المكان الذي سيقوم فيه برسْم لوحته، وحدّد الوقت الذي سيرسُم فيه، لكنّه لم يطبق شيئًا من ذلك، ولم يسعَ للتّنفيذ، هل ستتحقّق النّتائج؟ وهل سيجدُ ثمرة لوحته التي لم يخطّ فيها خطًّا، ولم يحرّك فيها فرشاةً رغمَ استعداده وتهيئته لها!.

فهيّا الآن طبّق خطّتك لتحقّق أهدافك، وقسّم غاياتِك الكبيرة إلى أهداف صغيرة تقودك لتحقيق الهدف المنشود.

إنّني وأنتَ وغيرنا- بصراحة- نفتقرُ إلى التّنفيذ والتّطبيق، فربّما تكون الخطط لدينا مكتوبةً، أو على الأقلّ لها شكلٌ متبلْور في دواخلنا وعقولنا، وهناك سببانَ ربّما يمنعان البعض من تنفيذ خططهم:

الأوّل: الخوفُ من الفشل، فمِن المُمكن أن تجدَ شخصًا مرّ بتجربة فاشلة فأخذ يتوجّس خيفةً من الشّروع في خطّة أخرى، وهذا مسلكٌ غيرُ صحيح، وأذكرُ هذا الصنف بالحكمة الصّينية التي تقول: «القرارُ السّليم يأتي بعد الخبرة التي تأتي من القرار السّيئ»، وعلينا أن ننظر هذه النّظرة التي رآها «توماس إديسون»

عندما كان يعملُ على تجربة معيّنة طوال فترة سنوات متواصلة، وفشل خلالها سبعمائة مرّة، حتّى أحبط مَن حوله مِن الزّملاء والتّلاميذ، فتوجّهوا إليه وقالوا له: لقد فشلتَ سبعمائة مرّة، وهذا فشلٌ ذريع؛ إذْ لم تتوصّل إلى شيء بعد، وعلينا أن نتوقّف، فضحك إديسون! وقال: ما الذي تقولونه؟ أيّ فشل!! لقد نجحنا في معرفة أنّ هذه الوسائل السبعمائة لنْ تجدي نفعًا، ولوْ لمْ نجرّب لما عرفنا، وهذا إنجازٌ ما بعده إنجاز.

الثّاني: التّسويف الذي يمنعُ البعضَ من تنفيذ خطّته، فيقوم بتأجيلِ ما يريد أنْ يشرع فيه إلى اليوم التّالي، والأسبوع الذي يليه، والشّهر اللاحق، وهكذا حتّى ينقضي الأجل، وتطوى صحيفةُ العمل...

﴿فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾[آل عمران: ١٥٩]

زُبدةُ القوْل:

- خططُك لا تساوي المِدادَ الذي كتبتْ به، ما لم تُترجمُ إلى واقع يتحرّك في دنيا الناس.
- التّخطيطُ المُتقَن يقودُك إلى الإنجاز المبدع.
- قلْ لي ما هي خطّتك، وما الذي تحقّقه؟ أقلْ لك مَن أنت؛ فأنتَ= إنجازك.
- لا أحدَ سيحقّق أحلامَك سواك، وإنْ لم تقمْ بها سيقوم بها غيرُك وستزدادُ إحباطًا.

إيّاكَ أنْ تهتمّ بصَغائر الأشياء

إنّ العراقيلَ والعقباتِ لن تبرزَ أمامك حتّى توجّه عينيك صوبَ هدفك، وإلّا فهي مستترة عنْك، وإنْ أوْليْتَها عنايةً واهتمامًا زائدًا كان ذلك على حسابِ أهدافك الأساسية ووقتك الثمين.

كذلك الأمرُ في كلّ ما يعترض طريقَك في مشوارِ الحياة ودروب العمر، فهو لا يمثّل لك قيمةً، ولا يصرفُك عنْ غايتك المرجوّة وهدفك المنشود.

إنّ الاهتمامَ بصغائر الأمور يهدرُ الوقت، ويبدّد الجهد، ويستهلك الكثيرَ من الطّاقة التي ينبغي أن تتوفّر لمعالي الأمور، وتدّخر للغايات العليا.

عندما تسير في الطّريق ويعترض طريقَك كُرةٌ فلستَ مطالبًا بالاهتمام بها، ولا ركْلها لمَن يلعبون بها، ولا إعطائها جزءًا من تفْكيرك ووقتك، وهذا شأنُ كلّ ما يظهر لنا في الحياة.

أتذْكر يومَ تعرّضتَ لمشكلةٍ ما، وكنت تعظمها وتكبرها، وتحمل همّ حلّها، وتظنّ أنّها بلغتْ من الصّعوبة والعسر ما تنوءُ به الجبال، فإذا هي صغيرةٌ جدًّا جدًّا، وإذا بك كنت مبالغًا مبالغةً غير مقبولة،

لعلّك تتذكّر يومَ كنت تلميذًا في المدرسة، ولم تقمْ بعمل الواجب، أو نسيت دفترَك للحصّة الأخيرة، وكنت تضخّم الأمر، وتحمل الهمّ، ثمّ مرّ الأمرُ بسلام، وغير إزعاج بينما كنت له مجلًّا ومعظّمًا.

قد تتذكّر يومَ خُدشتْ سيّارتك، أو كسر هاتفك، أو حدثَ شرخٌ في ساعتك المفضلة فاغتممتَ لذلك، ونمتَ حزينًا، واستيقظتَ كئيبًا، ولم يتغيّر الحال، ومرّ مرورَ الكرام.

كأنّي بكَ الآن تتذكّر تعليقًا ساخرًا لصديقٍ لك، أو نقدًا غير عادل، فحوّل مزاجك الصّافي إلى مزاجٍ عكر، وفكرَك الهادئ إلى فكْر مشتّت، ثمّ مرّ الأمرُ بسلام.

إنّ الزّجاجة الممتلئة بالماءِ الصّافي الزّلال لا تسمح بشيء من الماء العَكِر، ولا تتّسع لسائلٍ آخر يغني عن الماء.

إنّ الانْشغال بالتوافه وإعطاءها حجمًا أكبرَ من حجمها ليفوت المطلوب، ويبعد عن المراد، فلك أنْ تتخيّل معي أنّك كنت في اختبارٍ فيصليّ في حياتك، واستلمتَ ورقة الأسئلة لتجيبَ عليها، ثمّ جاء صوتُ شغلك، وبدأ يرتفع شيئًا فشيئًا فشدّ انتباهك وانسقْتَ له، لا شكّ أنّه يؤثّر على إجابتك سلبًا، ويأخذُ من تفكيرك جزءًا لكنّك إنْ ركّزت في إجاباتك حقّقت المطلوب ونلْتَ المراد.

لقدْ بالغ أحدُ المؤلّفين، وهو (د. ريتشارد كارلسون) في شأنِ عدم الاهتمام بالصّغائر حتّى ألّف كتابًا بعنوان: لا تهتمّ بصغائر الأمور؛ فكلّ الأمور صغائر.

إنّ الاهتمامَ بالمعالي، والنّظرَ للغايات والأهداف غير عابئ بما سوى ذلك؛ لمطْلبٌ شرعيّ حثّنا عليه دينُنا الحنيف، «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ وَأَشْرَافَهَا، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا» أخرجه الطبراني.

فلنضَعْ هذا الحديثَ في أذْهاننا ونُصبَ أعْيننا دائمًا.

وإليْك ما يُعينك على عدمِ الاكتراث بصغائرِ الأمور بعدَ توفيق الله:

لا تجعلْ حياتَك كلّها طوارئ، خذِ الأمور ببساطة.

كنْ رحيمًا بالآخرين مساعدًا لهم.

التمسِ الأعذار للغير.

ضعْ نفسَك مكانَ الآخرين.

تعاملْ مع بعض النّاس كما تعامل الأطفال.

وأخيرًا... ضعِ الكأس، واسترحْ قليلًا لتستمتع بالحياة.

في يوم من الأيّام، كان أحدُ المحاضرين يلقي محاضرةً عن التّحكم في ضغوط وأعباء الحياةِ لطلّابه، فرفع كأسًا من الماء، وسأل

المُستمعين، «ما هو في اعتقادكم وزنُ هذا الكأس من الماء؟».

الإجاباتُ كانت تتراوحُ بين ٢٠ جم إلى ٥٠٠ جم.

فأجابَ المُحاضر: لا يهمّ الوزن المُطلق لهذا الكأس.

فالوزنُ هنا يعتمدُ على المدّة التي أظلّ مُمسكًا فيها هذا الكأس.

فلوْ رفعته لمدّةِ دقيقة لن يحدثَ شيء.

ولوْ حملته لمدّة ساعة فسَأشعر بألم في يدي.

ولكنْ لو حملتُه لمدّة يوم فستستدعون سيارة إسعاف!!.

الكأسُ له نفسُ الوزن تمامًا، ولكنْ كلّما طالت مدّةُ حملي له كلّما زاد وزنه.

فلوْ حملْنا مشاكلنا وأعباء حياتنا في جميع الأوقات؛ فسيأتي الوقتُ الذي لنْ نستطيع فيها المواصلة، فالأعباء سيتزايد ثقلها.

فما يجبُ علينا فعلُه هو أنْ نضع الكأس، ونرتاح قليلًا قبل أن نرفعه مرّة أخرى.

فيجبُ علينا أنْ نضع أعباءنا ومشاكلنا- التي لا تستحقّ هذا الاهتمام- بينَ الحين والآخر لنتمكّن من إعادةِ النّشاط، ومواصلة الجهود مرّة أخرى.

زُبدةُ القوْل:

- مهْما بلغتْ أحداثُ الحياة فهي كعاصفة تمرّ، وتبقى السّماء صافيةً، والأرضُ ممهّدة.
- العقلُ الكبير للأشْياء الكبيرة، ولا يتّسع للصّغائر.
- تعلّم مِن خبراتك حينَ ضخّمت الأمور، فإذا هي لا تستحقّ.
- قدْ تهزّك حصاةٌ إنْ تعمّدت وطئها، وتنْجو من صخرة كبيرة، فكذلك صغائرُ الأشياء قد تثبّطك إنْ أوْليتَها عناية.

فتّشْ عن نقاطِ الجَمال في الآخرين

احذرْ أن تكونَ واحدًا من هؤلاء الذين لا يروْن غيرَ النّقطة السّوداء في الصفحة البيضاء النّاصعة، والشّعرة السّوداء في جلد الثّور الأحمر، أرجوك! لا تكنْ مثلهم.

فإنّ الذي يفتقدُ الجَمال في ذاته هو الذي يعجزُ عن رؤيته في الآخرين، أليسَ كلّ العالم الذي خلقه الله جمالًا في جَمال، حتّى الحيوانات المعجمة لا نعدم جانبَ الجَمال فيها ﴿وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ٦﴾[النحل: ٦]

لقد أعجبني هذا الدّاعية الحاذق الذي مرّ في طريقه بمسجد، فدخل ليصلي فيه صلاة الجمعة، وكان الخطيبُ متواضعًا جدًّا من الناحية العلميّة والوعظية، فلمّا سُئل هذا الداعية عن الفائدة التي حصل عليها من هذا الخطيب، قال: أعجبني هندامُه المنظّم، وزيَّه المرتّب؛ فاستفدت من هذه النّاحية. وكان يستطيعُ أنْ يبرز مساوئه، وأنْ يظهر عُجره وبُجره، لكنّه نظر إلى الجانب الإيجابي، وركّز على مواطن الجَمال، وجميل الخصال.

فمِن النّاس مَن لا يجيد إلّا النّقد اللّاذع والسّخريةَ المَقوتة والتّعليق الساخر، فعينُه عن مواطنِ الجَمال عمْياء، وأذنه عن سماع الخيْر صمّاء، إنْ تقابل معك يُمطرُك بوابلٍ من السّلبيات فلا يعجبُه هندامك، ولا يروقُ له كلامُه، ولا يُبصر إلّاً مواطن الضّعف فيك، والعجزِ لديك.

جلسْنا في أحدِ المطاعم مع صديق لنا يهتمّ بجوانب التّربية، فأخذَ ورقةً بيضاء ووضع في وسطِها نقطةً سوداء صغيرة، لا تكاد تُرى بالعين المجرّدة، ثمّ سأل الجالسين: صِفوا لي هذه الورقة. فكانت ردودُ الجالسين تركّز على النّقطة السّوداء، تاركةً هذه المساحة الواسعة من بياض الورقة الناصعة.

إذاً، مِن غير المقْبول أنْ نغضّ الطّرف عن جماليات الحياة، ومن غير المعقول أنْ نعرضَ عنْ جَمال الطّبيعة وجَمال الأخلاق وجَمال السّلوك وجَمال القول وجَمال العلاقات مع الآخرين، وجَمال الزّوجة والأسرة، بل وجَمال الإنسانية جمعاء «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، وَلَكِنَّ الْكِبْرَ مَنْ بَطَرَ الْحَقَّ وَغَمَطَ النَّاسَ» أخْرَجه مُسلم.

إنّني أعرف بعضَ الأشخاص الذين تمتازُ بشرتُهم باللّون الأسمر، لكنّ جَمالَ روحهم يفوقُ الوصف، وخفّةُ ظلّهم لا حدود لها.

ومقاييسُ الجَمال تختلف باختلافِ الأوطان والشّعوب، فما تراه دميماً قد يراه غيرك حسنًا، وما تبصره قبيحًا قدْ يُبصره غيرُك جميلًا، فمقاييسُ الجَمال عند الهنودِ تختلف عنها عند العرب، وعند العرب تختلف عنْها عند الأفارقة، فالجَمالُ نسبيّ ليست له قاعدة مطردة، فلماذا لا نغلّب هذه القاعدة؟!.

نحنُ نعيش في مجتمع مع غيرنا، لا نعيشُ فرادى، فلنا علاقات وزملاء وجيران وقرابةً، ولا يمكن للإنسان أنْ يعيش في راحةٍ وسعادة ومَن حوله يفتقد ذلك.

فينبغي أن يكون حالنا مع الآخرين كما يلي:

النّظرُ إلى الصّفات الحسنة فيهم؛ لأنّهم سينظرون إلينا بنفس الطريقة.

نحبّ لهم ما نحبّ لأنفسنا، فحبّ لأخيك ما تحبّ لنفسك.

نفتّش عن مواطن الجَمال فيهم ونمتدحها.

نختلفُ معهم بأدبٍ، ولا نتشاجر.

نقبلُهم كما هُم لا كما نريد.

زُبدةُ القوْل:

- رؤيةُ الجَمال هي انعكاسٌ للرّوح، فكلّما كانت روحُك جميلة؛ أبصرتَ الوجود جميلًا.
- الجمالُ هو قيمةٌ تنبعُ من داخلك أوّلًا قبل أنْ تقع عينك على ما تبصره.
- ميدانُ الجَمال أوسعُ بكثير ممّا يظنّه أصحابُ النّظرة القاصرة.
- اصنعْ لنفسِك لوحةً جميلة لترى الدّنيا بداخلها، فتعيش وسط الجَمال.

لا تتصوّر أنّك الوحيدُ الذي يعاني

ربّما يتسلّل إليك شعورٌ بأنّك الشّخص الوحيد الذي يعاني على ظهْر هذه البسيطة، والذي يحملُ فوق رأسِه الكرةَ الأرضيّة والأجرام السماوية.

يُخيّل إليك أنّك وحدَك مَن تحمل همّ الوِحدة.. همّ الفراق.. همّ الأسرة.. همّ العمل.. همّ الدّراسة.. همّ المستقبل.. همّ المعيشة؛ وتتمنّى لو مدّ أحدٌ يده إليك ينتشلُك ممّا أنت فيه، ويربّت على كتفيْك عطفًا وحنانًا، أو يكفكفُ دموعك بيدِه الحانية، ويمسح آلامَك بنظراته الرحيمة المشفقة، وأحيانًا تفرح داخليًّا؛ علّ من لديه إحساسٌ يشعرُ بك.

أوْ حتّى تبكي فلربّما يراك مَن له عينٌ يبصر بها، ويحسّ بك مَن في قلبه رحمةٌ، أو في جسدِه حياة.

وأحيانًا تؤثِرُ الصّمتَ لأنّك تفتقد مَن يضمّد جراحك ويشفي آلامك، وأحيانًا أخرى تظنّ أنّك قد أوشكتَ على تحقيق ما تريد، وكدتَ تصلُ إلى نهاية الطريق؛ لكنّك تحتاج إلى المعين والمُساعد،

فتكتشفُ أنّ الطّريق مسدود، وأنّ الظّلمة الحالكة قد أسدلتْ على جوانبه، وأنّك وحدك عاجزٌ عن التقدّم أو التأخّر.

دعْني أقول لك بكلّ صراحةٍ ووضوح بأنّ هذا كلّه لا يعدو عن كوْنه أحاسيس، وليس إلّا مجرّد شعور يتسرّب إليك، ويتسلّل إلى كيانك، ومُحال أنْ ينفذ إليه، أو أنْ يتغلغل فيه إلّا إذا سمحتَ له وتعايشتَ معه.

مُحالٌ أنْ تضلّ وفي قلبك إيمانٌ بالله يضيء الظلام، ويشرح الفؤاد، وينير الطريق، ويهدي الحيران.

مُحالٌ أنْ تسقط وأنتَ تعتمدُ على القوي المتين ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[الطلاق: ٣].

مُحالٌ أنْ تزلّ قدمك وأنت متعلّق بالعزيز الحميد.

مُحالٌ أنْ تفشلَ وأنت تحاول أنْ تصنع من المحْنة منحة.

مُحالٌ أنْ تتقهقرَ وأنتَ تريد أنْ توقد في الظّلام شمعة.

مُحالٌ أنْ تخفق أو تنكسرَ أو تهزم وقدْ منحك الله عقلًا يحاول البحثَ عن المعالي، ويتطلّع إلى المجد.

واعلمْ أنّك لست وحدَك مَن يعاني، فالدّنيا جُبلتْ على التّعب والنّصَب والكَدَر.

﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾[البلد: ٤]

طُبعــتْ على كدرٍ وأنــت تريدها صفوًا من الأقــذاء والأكدار

فالأصلُ فيها التّعب، والرّاحةُ طارئة، ومبنيّةٌ على الألم، والسّرور فيها نادر.

ولو تدبّرت حالَك، وتفكّرت في أمرك؛ لظهرَ لكَ أنّ نعم الله تغمرُك مِن فوقك ومن تحتك، فأنتَ أغنى من الملوك والسّادة قديمًا، فقدْ كانوا يركبون الدّواب، ويسهرون على الشّموع، ويمرضون فلا يجدونَ الطّبيب النّاجح ولا العلاجَ النّاجع؛ أمّا أنت فتسهرُ على الكهرباء، وتركبُ الطّائرة والسّيارة، وإذا تألّمت سرْعان ما وجدتَ الطّبيب والدّواء.

زُبدةُ القوْل:

- لستَ الوحيدَ الذي يواجه المِحَن والعقبات؛ فثمّة مَن هُم أسوأ منْك حالًا.
- لا شكّ أنّ المتاعب تعمّ الجميع، لكنِ الفرقُ أنّ صنفًا من الناس يعيشُ معها، وآخر يتعايش معها.
- تذكّرْ نعمَ الله عليك؛ فهي سلوى لمَا ينزل بك.
- لا تصْفو الدّنيا لأحدٍ؛ فاللّهم جنّة تُنسينا تعبَ دنيانا.

لا يأسَ معَ الحياة

ما دامتْ روحُك تسري في بدنك؛ فلا تيأسْ ولا تقنط.

لا تيْأس لمجرّد هدفٍ قد تأخّر، ولا لمجرّد حلمٍ لم يتحقّق.

لا تيأس لأنّ سهماً قد أصابك مِن قريب أو صديق لم يكن يُتوقّع.

لا تيْأس لأنّ جميع الأبواب قد أُغلقت أمامك، وكلّ الطّرق قد أوصدتْ في وجهك؛ فهناك بابٌ يلوح من بعيد لم تقعْ عليه عينُك، ولم يدركه طرْفك.

لا تيْأس لأنّ العمر قد مرّ منه الكثير وأنتَ لم تحقّق ما تريد، فما بقي فيه الخير وزيادة.

لا تيْأس لأنّ غيرَك قد حصلَ على الشّهادات والمناصب وأنتَ في مكانك، ففي إمكانك أنْ تترك أثرًا طيّبًا وسيرة حميدة.

جميلٌ أنْ تكون طموحًا منتصرًا على اليأس، ورائعٌ أن تكون مبتسماً فتغلب الهمّ والنّكد، وحَسَنٌ أنْ تحاول، فلن يتمكّن منك الفشل.

لا تيْأس فما يدريك لعلّ الذي ترجوه سوف يأتي، ولعلّ الذي تتمنّاه سوف يكون، ولعلّ الذي تأمل سيتحقّق بإذن الله تعالى ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥﴾[الشرح: ٥].

لا تيْأس أبدًا فربّما ترجو ما فيه هلاكك، وتتمنّى ما فيه زوالك.. ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٢١٦﴾[البقرة: ٢١٦]

إنّ الطّائرة التي فاتتك ولم تدركْها قدْ يكون الخيرُ كامنًا في فواتها، وإنّ الوظيفة التي لم توفّق لها قد يكون في عدم التّوفيق لها مصلحة، وإنّ تأخّرك في الزواج قد يكون سببًا في حصول البركة مستقبلًا، وإنّ الطّفل الذي حُرمت منه قدْ يكون في الحرمان راحة.

لقدْ دُعيَ أحدُ الصحفيّين البارزين على السّفر لحضور مباراة حاسمة بين فريقين من لاعبي كرة القدم، فوصلَ إلى المطار متأخّرًا عن الموعد المسْبَق، فوجد الطّائرة قد أقلعت، فتأسّف لذلك، وعاد لبيته متندّمًا، فلمّا كان من الصّباح غدا إلى مكتبه، فوقعتْ عينُه على مانشيتّ عريض في الجريدة يقول بأنّ الطّائرة التي توجّهت إلى ما كان يريدُ بالأمس قد سقطتْ ومات جميعُ الرّكاب، فإذا به يخرّ ساجدًا لله.

إنّ الفرج كالمطر الذي يعانق الأرضَ العطشى، فتنجبُ الزّرع والثّمر إيذانًا بموسم جديد من الخير والبركة، وكذلك الفرجُ يعانق القلوبَ الملهوفة فتثمر الرّضا والسعادة.

إنّ تاريخَ ميلاد الفرج بيدِ الله تعالي لا بيدِ غيره، سبحانَه، وانتظارُه عبادةٌ جليلة يثاب عليها العبدُ ما لم يتضجّر أو يتأفّف.

أعرفُ شخصًا فاتَه قطارُ التّعليم- كما يُقال- وبلغَ به العمر مبلَغًا، فلم يتسرّب إلى قلبه اليأس، ولم يتسلّل إلى كيانه القنوط، ولم يندبْ حظّه، أو يلطم خدّه، وإنّما استغلّ ما بقي من وجودِه في الحياة، وسخّر أنفاسَه في طلب العلم، فحصّل الشّهادة، وقبلها العلمَ النافع، فكان مثالًا يحتذى، ونموذجًا يقتدى.

لا تيْأس وكنْ كالنّملة.. ذُكر عن الكسائي إمامِ أهل الكوفة في النّحو، أنّه طلب علم النحو فلم يتمكّن، وفي يومٍ من الأيام وجدَ نملة تحمل طعامًا لها وتصعدُ به إلى الجدار، وكلّما صعدتْ سقطتْ، ولكنّها ثابرت وتركتِ اليأس خلفها حتّى تخلّصت من هذه العقبة وصعدتِ الجدار، فقال الكسائي: هذه النّملةُ ثابرت حتّى وصلتِ الغاية، فثابرَ حتّى صار إمامًا في النّحو تُشدّ إليه الرّحال، ويقصده طلابُ العلم من كلّ حدبٍ وصوْب.

زُبدةُ القوْل:

- لا تيْأس، فسيأتي اليومُ الذي يبتهجُ فيه قلبك، وتنتعش فيه روحُك.
- اعلمْ أنّ أشدّ ساعاتِ اللّيل ظلمةً هي السّاعة التي يعقبُها طلوع الفجْر، فلا تيأس.
- الفرجُ كالفرخِ في البيضة إنْ خرج قبلَ وقته مات، وإنْ جاء في وقته كان مكتملاً.
- اليأسُ يقتلُ الإرادة، ويبدّدُ العزيمة، ويُضعِف الهمّة، ولا يرضي الرّب.

البدايةُ هي أصْعبُ شيء في الإنجاز

نقطةُ البداية هي أثقلُ شيء في عمليّة الإنجاز، ويمكنني أنْ أقول لك: إنّ مَن تخطّى هذه النّقطة فقد حقّق نصف النجاح، وبدأ في النّصف الآخر، واستحوذَ على مفْتاح الإنجاز، ألا تتذكّر معي أنّك كنتَ تفكّر في موضوع ما فترةً من الزمن ليست بالقصيرة، وتحملُ همّه وتنام وتستيقظ به، ثمّ لمّا خضته وشرعتَ فيه بدا لك أنّه لم يكنْ بهذا الثقل، ولا بهذه الصّعوبة التي عشتها وتخيّلتها، ثمّ ندمتَ على تقصيرك وتأخّرك في الإنجاز، لا سيّما أنّ غيرك قد سبقك، وحقّق ما أراده، ولم يكنْ ثمّ فرقٌ بينك وبينه سوى نقطة البداية.

إنّ الأعمال التي ترغبُ في تحقيقها، وتتمنّى أنْ تنجزها هي بمثابة بيتٍ كبير مترامي الأطراف يتمنّى الواحدُ منّا أنْ يدخله، وأنْ يهنأ به، لكنّه يتهيّب الدّخول، فيحتاج أن يفتح الباب وأنْ يلج فيه، ونقطةُ البداية هي ذلك البابُ الذي إنْ دخلته حقّقتَ ما تصبو إليه، وأنجزتَ ما ترْجوه.

سار أحدُ الأصدقاء مع صديقه يومًا فاقترح عليه كتابًا في أحدِ موضوعات العلوم، وأخبرَه أنّه سيبدأ فيه، فقال له صديقه- وكان فَطِنًا- رائع ومتميّز ومتفرّد، لكنّك إن لم تبدأ فيه بعد شهر فاسمحْ لي أن أبدأ أنا وأكتبَ في نفس الموضوع، ومرّ شهرٌ وشهرٌ ولم يبدأ صاحبنا، وإذا بصديقه يلتقي به بعد عدّة أشهر يُعطيه الكتاب الذي ألّفه وطبعه، وهو الذي اقترحه صاحبنا لكنّه تكاسل وتقاعس وتهيّب نقطة البداية.

بغضّ النّظر عن الموقف، إلّا أنّه يجسّد واقعًا مريرًا لكثيرٍ من النّاس الذين لا يبادرون إلى تحقيق ما يطْمحون، والعمرُ يمرّ، والأيام تجري، وما فاز إلّا مَن بادر واغتنمَ وكان إيجابيًّا فبدأ.

يجبُ أنْ تعلم أنّ عملك لن يقوم به غيرُك، وأنّ إنجازاتك لن يسعى في تحقيقها سواك، فلا تنتظرِ التّشجيع من أحد، فالنّاس ينتظرونه منْك، ولا تتطلّع إلى الثّناء من أحد؛ فالجميع يرغب في الثناء منك.

وأوصيك أنْ تكتمَ عن الناس محاولاتك حتّى تقف على قدميك، وتنجز ما تطلّعت إليه، وعندَها لا بأس بإخبارهم، فأجملُ الأعمال التي لم يكنْ فيها شركاء، بل فيها ناصحون وموجّهون ومقوّمون؛ لأنّ الشّركاء كثيرًا ما يتشاكسون.

عليك أنْ تدرك أنّ أساس الإنجاز هو البداية، وأنّ النّاس لا يحترمون أحدًا كما يحترمون أصحابَ الإنجازات.

كنت قد تأخّرت بعضَ الشيء في أطروحة الدكتوراه، فتقابلتُ مع أحد الزملاء فسألني عنْ حال البحث، فقلتُ لمّا أبدأ حتّى الآن، فادْعُ الله لنا، فقال لي: توكّل على الله وابدأ، ثمّ تلا عليّ آية كأنّي أسمعها لأوّل مرّة: ﴿ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]. فالقصّة تكمن في ولوج الباب الذي هو نقطةُ البداية.

فهلّا دخلنا أبوابَ الإنجاز لنحقّق ما نريد، وابتعدْنا عن منافذ الكسل والخمول والتّقاعس؟!.

زُبدةُ القوْل:

- لا يوجد حاجزٌ بينك وبين الإنْجاز سوى نقطة البداية، فأزِلْ هذا الحاجز، وابدأ.
- مَن وصلوا قبلك، إنّما بدءوا مبكّرًا؛ فابدأ لعلّك تَسبق.
- ربّما يتسبّب عدمُ وجود جدولٍ زمنيّ للإنْجازات في التّسويف.
- ابدأ الآنَ واسمحْ لي أنْ أقول لك بأنّك قطعت نصفَ المسافة.

عليكَ أنْ تتقبّل ذاتك

إنّ السّعادة لا تكمنُ في تحقيق الكمال أو النّجاح في مجال عملك، أو الثّراء، أو حتّى في امتلاك الأشخاص الذين تظنّ أنّهم سيدفعون حياتك للتقدّم، أو سيصبحون سببًا في رقيّك، وإنّما السّعادة تكمنُ في قبولك لذاتك ورضاك عنْها بخصائصها وسماتِها، فترضى بها جُملةً وتفصيلًا، ترضى بها على ما هيَ عليه، ببشرتها.. بلونها.. بحديثها.. بمشيتها.. ثمّ تحاول أن ترتقي بها وأنْ تصعد بها لأعلى.

لقدْ خلق الله كلَّ كائنٍ في الوجود بصفاتٍ خاصّة، وسمات معيّنة، فلا يوجد اثنان متحدان، ودلالة ذلك استقلاليّة كلِّ فردٍ بذاته وسعادته بها.

إنّك الوحيد الذي يعرف نفسَه، ويستطيع أنْ يجمع السّلبيات والإيجابيّات التي تكتنفها، ولك أنْ تعرف ذلك وأنْ تقف عليه، لكن لا تسمحْ لذاتك أنْ تمتزج بغيرها، أو أنْ تذوبَ في مكنونات الآخرين.

مِن طرائف ما ذُكره لي أحدُ المشايخ الكبار، وهو يضمّ مع الطّرافة فائدة عظيمة: أنّه كان يطمحُ في دخول الإذاعة ليكون قارئًا

مشهورًا يُشار إليه بالبنان، فعلمَ أنّ نقيب القرّاء قد جاء في مناسبةٍ قريبة منه، فأراد أنْ يغتنم هذه الفرصةَ السّانحة، وأن يحدّثه في أمره، ويرجوه، علّه يساعده ويقف بجانبه، فلمّا جلس معه قال له الشّيخ (نقيب القرّاء) هل صوتُك حَسَن؟ وهل أنت متقنٌ للتّلاوة والأداء؟ فقال: نعم. فقال له: اقرأ ما تيسّر. ومن عدم التّوفيق له أنْ قام بتقليد هذا الشّيخ وهو يجلس أمامه! فإذا به يقول له: ما اسمُك؟ فقال: فلان، فقال له: يا فلان، عندما جئت إلى هنا إنّما أتيتَ لتسمَعني أنا، وأنا أودّ عندما أذهب إليك أنْ أسمعك أنت.

فإيّاك أنْ تذوب في الآخرين فتجني على خصائصك، وتظلم سماتِك، وتعتدي على ذاتك التي فطرك الله عليها.

أنتَ الوحيدُ القادر على تغيير ذاتك للأفضل، فلا يملك غيرُك هذه القدرة، ولا تملك أنت تغييرَ العالم مِن حولك حتّى تغيّر من نفسك.

يحكى أنّ شخصًا بلغَ من الكبر عتيًّا قال: عندما كان في عمري عشرون سنة كنت أريد تغييرَ العالم، فوجدتُ أنّه من الصّعب أن أغيّره؛ لذلك حاولت أنْ أقوم بتغيير بلادي، عندما كان عمري أربعون سنة فوجدتُ أنّ هذا أيضا صعبٌ، فاجتهدتُ بكلّ ما أوتيت من قوّة أنْ أغير من مدينتي وكان عمري حينها ستين سنة فوجدتُ أنّ الأمر عسير، وبينما كان عمري ثمانين سنة، حاولت

أنْ أغيّر عائلتي فلم أستطع، والآن وبعدَ أن أصبحتُ رجلًا كهلًا أدركت أنّ الشيء الوحيد الذي كان يُمكنني أن أغيّره هو أنا، إذْ لو كنت فعلتُ ذلك بالماضي لاستطعتُ أن أغير عائلتي، ومِن بعدها مدينتي، ومن ثمّ بلادي.. وأخيرًا العالم.

إذًا، لن تستطيعَ أنْ تغيّر العالم مِن حولك ما لم تقبلْ ذاتك أوّلًا، ثمّ تسعى لتغييرها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾[الرعد: ١١].

فإذا كنتَ تبحثُ عن صديق مُخلص يحافظ على صُحبتك؛ فهو نفسُك التي تسعى في إصلاحها وتهذيبها..

إذا كنت تفتقرُ إلى مَن يصغي لك ويُحسن معاملتك فهو نفسُك التي توجهها وترشدها..

إذا كنتَ تحتاج إلى مُجيب يُجيب عن أسئلتِك بشفافية وصدق؛ فهو نفسُك التي تحاورها وتناقشها.

دعْني أصفُ لك بعضَ المخاطر التي ستحاصرك عندما لا تقبل ذاتك:

عندما لا تقبل ذاتَك ستصبحُ فريسةً للآخرين.

عندما لا تقبل ذاتَك ستصبحُ الحقيقة ألدَّ أعدائك.

عندما لا تقبل ذاتَك فإنّك ستشعر بالوحدة دائمًا ولو كنتَ مع الآخرين؛ فوجودُك ليسَ له جدوى.

عندما لا تقبل ذاتَك فإنّك ستتقوقَع داخل الماضي الأليم، وقبولك لذاتك وحياتك هو الذي تستطيعُ من خلاله تحقيقَ التّطور والتقدم.

حينما تقبل ذاتَك يُمكنك قبول العالم كلّه.

زُبدةُ القوْل:

- صاحبْ نفسَك، وصادِقْها بإخلاصٍ في زمن قلّ فيه الصاحب وعزّ الصّديق.
- قبولُك لذاتك سرٌّ عظيمٌ من أسرار نجاحِك في حياتك.
- لا تجلدْ ذاتك وأنتَ تسامح الآخرين على أخطائهم .
- لنْ يقبلك أحدٌ إذا لم تقبلْ ذاتك بكلّ خصائصها وملامحها.

ارتقِ بإمكانيّاتك

صدّقني، أنتَ تملك الكثيرَ والكثيرَ من الأشياء والإمكانيات التي ربّما تعتبرها أمورًا عاديّة، وللأسف قد يعدّها البعض توافهَ، على الرّغم من أنّها قد تكون مصدر السعادة الوحيد للآخرين، لكنّنا نغطيها بغبار التّناسي، ونسترها برداء الغفلة.

نعم، ألستَ تملك قلبًا ينعمُ بجوانب الخير، وعينًا تبصرُ نواحي العلياء، ويدًا تسعى في الخير، ورجلًا تسيرُ إلى مواطن الهدى والنّور.. إذًا لماذا التضجّر، وهذه النَّظرة التشاؤمية للحياة الدنيا، وسوءُ المزاج وهذا المللُ والضّيق، ولديك هذه الإمكانيات؟!

جاءَ رجلٌ فقير إلى «يونس بن عبيد» شاكيًا حاله، فسأله يونس: «أيسرّك أنْ يذهب بصرُك وتعطَى مائة ألف؟»..

قال الرّجل: لا..

«أيسُرّك أنْ يذهب سمعُك وتعطى مائة ألف؟»

قال: لا..

«أيسرّك أنْ تذهب يداك ورجلاك وتعطَى مائة ألف؟»

قال: لا..

«أيسرّك أنْ يذهب عقلك ولسانُك وتعطى مائة ألف؟»

قال: لا..

فضحكَ يونس وقال للرّجل: «انظرْ إذًا.. كمْ معك مِن مئات الألوف وأنتَ تشكو الحاجة!».

- فالعافيةُ ثروةٌ يجحدها الغافلون..

والسّترُ ثروة..

والعقلُ ثروة..

وهذه حقيقةٌ؛ فنعمُ الله تغمرُنا من فوْقنا ومِن تحتنا ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾[إبراهيم: ٣٤].

فهيّا قمْ وارْتقِ بإمكانيّاتك، وابدأ في تحقيق ما تريد، وأنْجز أعمالك التي تطمح في إنجازها.

إنّ إمكانياتك التي لا حدودَ لها اليوم سيأتي عليها وقتٌ وتصبح فيه ماضيًا، وتصير في خبر كان، وهي الآن بين يديك تستطيع بها أنْ تفعل الكثير.

قمْ وتعلّم مهارةً تحبّها، قمْ واقرأ كتابًا تشتاقُ لقراءته ولطالما أخّرته.

قمْ وأنجزْ مشروعًا لطالما حلمتَ بتحقيقه.

قمْ وتواصلْ مع مَن تحبّ، واغمره بمشاعرك وأحاسيسك.

قمْ وتوكّل على خالقك، ولن يخذلك.

أيًّا كانت إمكانيّاتُك فهي قويّة، وأيًّا كانت قدراتك فهي صلبة، فهلّا جرّبت ما تملكه وشرعتَ فيما تحبّه، وبدأت فيما تريد.

إنّ الشّعور بالهمّ والغمّ لا ينتج عملًا، ولا يحقّق أملًا، ولكنّ الذي ينتج ويحقق هو الشّروع العملي والدّخولُ في ميدان الإنجاز، والسّعي الحقيقي في تحقيق المطلوب.

فإذا كنت جائعًا وتريدُ الطّعام وتشتاقُ إليه؛ فهل تتحقّق رغبتك بهذه الإرادة، أم لا بدّ أن تأكل؟!

إذا وصلت لحالة شديدة من العطش، وبحثتَ عن الماء، ونقّبت عنه؛ فهل تصلُ إلى بُغيتِك بهذا البحث والتّنقيب، أم لا بدّ من الشّرب؟!

كذلك الإنجازاتُ والأهداف لا تتحقّق بالرّغبة والأحلام والأماني؛ بل لا بدّ من الشّروع فيها.

زُبدةُ القوْل:

- كنْ واثقًا بنفسِك، فإنّ لديك قدراتٍ هائلةً، وإمكانيات رائعة.
- قدراتُك مخبوءةٌ في داخلك، فقط تحتاجُ مَن يكتشفها.
- كلّ الأشخاص لديْهم إمكاناتٌ هائلة، لكنّ الفرقَ أنّ البعض يوظّفها لصالحه، والآخرون يهْدرونها.
- هذه الكلمات: لا أعرف، مستحيل، لا أستطيع؛ تجعلُ الفشلَ يتسلّل إليك؛ فقمْ بحذْفها واستبدلْها بكلمات: سأتعلّم، وأجرّب، وأحاول.

تعوّدْ على القراءةِ خارجَ الصّندوق

لتصبح شخصًا متميزًا ومبدعًا؛ عليك أنْ تقرأ المواقف بشكلٍ مختلف، والأحداثَ بصورةٍ مُغايرة غير تقليدية ومألوفة، ولكنْ من منظور جديد.

واسمحْ لي أنْ أسوق إليكَ هذه القصّة لرجلٍ فكّر خارج الصّندوق فقادَه هذا التّفكير للنّجاح والخروج من الأزمة؛ حيث كان يصنعُ قماشًا للمراكب الشّراعية، يجلس طول السّنة يعمل في القماش ثمّ يبيعه لأصحاب المراكب، وفي سنةٍ من السنوات، وبينما ذهبَ لبيع نتاج السنة من القماش لأصحاب المراكب سبقَه أحدُ التّجار إلى أصحاب المراكب وباع أقمشته لهم، فكانت الصّدمة كبيرة .

ضاع رأسُ المال منه وفقدَ تجارته، فجلسَ ووضع القماشَ أمامه، وجعل يفكّر، وبجلوسِه كان مَحطَّ سخريةِ أصحاب المراكب، فقال له أحدُهم: اصنعْ منهم سراويل وارْتديهم. ففكّر الرّجل جيّدًا، وفعلًا قام بصنْع سراويل لأصحاب المراكب من ذلك القُماش، وقام ببيعها لقاءَ ربح بسيط.. وصاح مُناديًا: مَن يريد سروالًا من

قماش قويّ يتحمّل طبيعة عملكم القاسية؟ فأُعجب النّاسُ بتلك السّراويل وقاموا بشرائها.. فوعدهم الرّجلُ بصنع المزيد منها في السّنة القادمة.. ثمّ قام بعمل تعديلاتٍ وإضافات على السّراويل، وصنعَ لها مزيدًا من الجيوب حتّى تستوفي بحاجة العمال، وهكذا.. ثمّ يذهب بها لأصحاب المراكب فيشترونها منه، وبهذه الطّريقة تمكّن الرجل من تحويلِ الأزمة لنجاحٍ ساحق.

إنّ الأزمة لا تجعل الإنسانَ يقف في مكانه، لكنّ استجابتَنا لها وردودَ أفعالنا هي ما تجعلُنا نتقدّم، أو نتراجع إلى الخلف.

إنّ هذا التاجر قد طبّق فكرة التّفكير خارجَ الصّندوق، والتي تعني أن تدعَ كلّ تجاربك وأفكارَك جانبًا لتأتي بحلٍّ جديد لا يعتمدُ ما هو موجودٌ في الصّندوق، وأنْ تترك لعقلك أنْ يصدرَ كلّ فكرةٍ حتّى ولو كانت سخيفةً أو غريبة لتصلَ إلى الحلّ، وتحقّق المراد.

في إحدى الـدّورات التّدريبية طلب المدرّبُ من الحضور أنْ يقترحوا مشكلةً ما أو فكرة معيّنة، ثمّ يضعوا لها الحلولَ الواضحة التي تتبادر إلى الذّهن من أوّل وهْلة، ثمّ عليهم أن يدعوا هذا الحلّ جانبًا ويفكّروا في حلولٍ أخرى خارج الصّندوق، وكمثال طلب منهم أنْ يتخيّلوا أنفسهم رجال أعمال، ويريدون أنْ يبدءوا مشروعَ مطعمٍ جيّد، فالمطاعمُ مشاريع عظيمة، وكلّ الناس يحبّون الطعام ويأكلون.

لكنّ هذا التفكير ليس جيدًا؛ لأنّ هذا هو ما بقعر الصّندوق، أخبرهم المـدرب أنْ ينسوا هذا الحـلّ، فلكي يفكّروا خارجَ الصّندوق؛ عليهم أوّلًا: حذف أيّ فكرة اعتيادية، ثانيًا: بذل الجهد للتّفكير بحلول أخرى.

فجاءَ التّفكير خارج الصندوق وهوَ تغييرُ أجواء المطعم، مثلًا: عمل مطعم على شكل طائرة، وماذا لو كان المطعمُ به بعضُ الألعاب للأطفال، ماذا لو كان المطعمُ خاصًّا بنوع معين من الطّعام لا أحد يقوم بعملِه في هذه المنطقة.

يمكنُك تجربة هذا الأمر، والمِران عليه من خلال ما يلي:

- التقطْ ورقة.
- اكتبْ تحدّي أو مشكلة أو مقترحًا.
- اكتبْ بالضّبط الحلّ الواضح لها.
- دعْ ما كتبته جانبًا، وحاول إيجاد حلٍّ خلاف ما كتبته.

قدْ تقابلك مشكلةٌ في العمل، أو في المنزل، أو في الشارع، وعندما تفكّر خارج الصندوق ستجدُ حلولًا إبداعية تغيّر نظرتك للمشكلة، وهذا الأمرُ يتطلّب منك شجاعة وإقدامًا، وعدمَ الخوف من التّغيير، أو خوض التّجارب، وثقةً بنفسك بعد ثقتك بالله تعالى.

كما يتطلّب منك أن تكونَ علاقتك بالقراءة متّصلة ودائمة لتَتّسع مداركك، وترقى أفكارك، يقول «بيل غيتس»: أحدُ الأشياء التي أحبّها في القراءة هي أنّ كلّ كتابٍ يفتح آفاقًا جديدة من المعرفة والاستكشاف.

والآنَ برأيك ما هو الحلّ لحافلةٍ مدرسيّة تقلّ عددًا من التلاميذ كانت تمرّ من نفق ضيق وسقفُه منخفض قدِ احتكّت به، فلم تتمكّن من العبور منه فتوقّفت بعد أن علَقتْ به فلم تستطع التقدّم أو التأخّر! كيف تحلّ هذه المشكلة بتفكير خارج الصندوق؟

إنّ طفلًا أُلهمَ بتفكيرٍ إبداعي فأوجدَ حلًّا، حيث طلبَ من الحضور خفض ضغطِ الهواء مِن الإطـارات تفاديًا لاحتكاك الحافلة، وعبرَ الجميع بسلام.

زُبدةُ القوْل:

- التّفكيرُ في الشّيء بصورةٍ عكسيّة يُعتبر من أسهل الطّرق لتوليد فكرةٍ جديدة.
- لا تحصُرْ تفكيرَك في مجالِ نظرك فقط؛ فكلُّ مشكلةٍ لها حلول.
- أعدْ تثقيفَ نفسك، تقبّل فكرة أنّك يجب أنْ تغيّر نمطَ تفكيرك.

التمِس الأعْذارَ للآخرين

الشّخصُ الموهوب يقبلُ أعذار الآخرين، ويلتمسُ لهم المعاذير؛ لأنّه يحتاج لذلك من غيره، ويعتقد أنّه يفتقر يومًا لَمن يقبل عذره، ويراعي مشاعره، ويحسّ بأحاسيسه.

ومَن خبَرَ أحوالَ النّاس وسبَرَ أغْوارهم؛ تبيّن له أنّ كثيرين منهم يُظهرون من المشاعر خلافَ ما يُبطنون، ويتظاهرون بنقيضِ ما يشعرون.

فصاحبُ الابتسامة الدّائمة لا يعني ذلك أنّ حياته تخلو من المشاكل، والذي يرتدي الأنيق من الثّياب ليس معناه أنّه أكثر النّاس سعادة، والشّخص الذي يتحرّك أمامك لا يدلّ ذلك على أنّه لا يعاني من أمراض وآلام.

فالمبتسمُ ربّما يريد نسيانَ همومه، وتضميدَها بابتسامته، والمرْتدي للفخم من الثّياب يحاول مسحَ همومه بهندامه، والشّخص الذي يتحرّك ربّما يقاوم آلامه وأمراضه.

إنّ الصّديق الذي تأخّر في تهنئتك لعلّه معذور، والشّخصَ الذي لم يردّ على اتصالك عساه لم يَرَه، والإنسانَ الذي دعوتَه لحضورِ مناسبة ربّما كان لديه ما أشغلَه أو عطّله.

هكذا ينبغي أنْ تُحمل الأمور، وأنْ نفسّرها بهذا التّفسير حتّى يظهر خلافه بيقين، ويتبيّن عكسُه بالطريق المبين.

وأسوقُ لك هذه الواقعة، التي تجعلك تفسّرُ الأمور تفسيرًا آخر، وتحملها بشكلٍ مختلف، ولعلّك تجعلها أمامَك في سوق حياتك وجلّ معاملاتك.

دخلَ جراحٌ إلى المستشفى بعد أنْ تمّ استدعاؤه على عجلٍ لإجراء عملية فوريّة لأحد المرضى، لبّى النّداء بأسرع ما يُمكن، وحضرَ إلى المستشفى، وبدّل ثيابه، واغتسل استعدادًا لإجراء العملية .

قبلَ أن يدخل إلى غرفةِ العمليّات وجد والدَ المريض في حالةٍ غير هادئة، وعلامات الغضبِ باديةٌ على وجهه

وما أنْ رأى الطّبيب حتّى صرخ في وجهِ قائلًا :علامَ كلّ التّأخير يا دكتور!؟

ألَا تدرك أنّ حياة ابني في خطر!؟

أليسَ لديك أيّ إحساس بالمسئولية!؟

ابتسمَ الطبيبُ برفق وقال :أنا آسف يا أخي، فلم أكنْ في المستشفى، وقد حضرتُ حالمًا تلقّيت النداءَ، وبأسْرع ما يُمكنني.

والآن، أرجو أنْ تهدأ وتدعني أقومُ بعملي، وكنْ على ثقةٍ أنّ ابنك سيكون في رعاية الله وأيدٍ أمينة .

لم تهدأ ثورةُ الأب، وقال للطّبيب :أهدأ!!؟

ما أبرَدَك يا أخي، لو كانتْ حياةُ ابنك على المحكّ هل كنت ستهدأ!؟

سامحك الله.. ماذا لو ماتَ ولدُك، ماذا ستفعل؟

ابتسمَ الطّبيب وقال: أقولُ قولَه تعالى ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾ البقرة: ١٥٦، يا أخي، الطّبيب لا يُطيل عمرًا، ولا يقصّره، والأعمارُ بيد الله، ونحن سنبذلُ كلّ جهدنا لإنقاذه.

ولكنّ الوضع خطيرٌ جدًّا، وإنْ حصل شيء فيجبُ أنْ تقول: إنا لله و إنا إليه راجعون، اتّقِ الله، واذهبْ إلى مصلّى المستشفى، وصلّ وادْعُ الله أنْ ينجّي ولدك .

هزّ الأب كتفَه ساخرًا، وقال :ما أسهلَ الموعظة عندما تمسّ شخصًا آخر لا يمُتّ لك بِصَلة .

دخلَ الطّبيب إلى غرفة العمليات، واستغرقتِ العمليةُ عدّةَ ساعات، خرج بعدها الطّبيب على عجل، وقال لوالدِ المريض :أبشرْ يا أخي، فقدْ نجحتِ العمليّة تمامًا، والحمدُ لله، وسيكون ابنُك بخير.

والآنَ، اعذرْني فيجبُ أنْ أسرع بالذّهاب فورًا، وستشرحُ لك الممرّضة الحالةَ بالتّفصيل.

حاول الأبُ أنْ يوجّه للطّبيب أسئلة أخرى، ولكنّه انصرف على عجل، انتظر الأب دقائقَ حتّى خرج ابنُه من غرفة العمليّات، ومعه الممرّضة، فقال لها الأب :ما بالُ هذا الطّبيب المغرور لم ينتظرْ دقائق حتّى أسأله عن تفاصيل حالة ولدي؟

فجأة، أجهشتِ الممرّضةُ بالبكاء، وقالت له :لقد توفّي ابنُ الدّكتور يوم أمس على إثر حادثة، وقد كان يستعدّ لمراسم الدّفن عندما اتّصلنا به للحضور فورًا؛ لأنّه ليس لدينا جراح غيره، وها هو قد ذهبَ مسرعًا لمراسمِ الدّفن، وهو قد ترك حزنَه على ولده كي ينقذَ حياة ولدك.

سأترك لكَ أيّها القارئ الكريم التعليقَ على هذه الحادثة، لكنْ أذكّرك بقول الله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾[الحجرات: ١٢].

كنتُ في أحد الأماكن العامّة، ورأيت شخصًا يأكل بشماله فهممْتُ أن أنصحه برفق ولين فظهر لي أنّ يُمناه مريضة، فعلمتُ أنّني كنت سأقعُ في موقفٍ لا أحْسَد عليه إن تسرّعت.

زُبدةُ القوْل:

- التماسُ الأعذار للآخرين يقلّل من شعورك بالغضبِ ناحيتهم ويزيلُ الأضغان.
- التمسِ الأعذارَ للآخرين فربّما تحتاج يومًا إلى مَن يلتمس لك العذر.
- أحوالُ البَشر مخبوءةٌ في دواخلهم، وأقلّ ما نقدّمه التماس الأعذار لهم.
- قدْ تندمُ بعد معرفتك السّبب، لكنّ ندمك لا يشفي جراحًا جنيتَها أنت.

لا تطفئ مواهبَك أيّها الموهوب

كمْ مِن طبيبٍ كان يمكنه أنْ يخلّد اسمه في عِداد عباقرة الطّب لوْلا انشغاله في عيادته واهتمامه بالكسب، وغفلته عن ملاحقة ركْب التقدّم العلمي؛ فحَكَم على نفسه بالحياةِ في الظلّ بعيدًا عن الإضاءة والنور.

كمْ من داعيةٍ وخطيب كان يستطيع أن يسجّل اسمه في عِداد الخطباء المصاقيع، لولا انْحصاره في نطاقٍ ضيّق، وانشغاله بالقضايا الثّانوية، وبُعْده عن الابتكار والإبداع في دعوته، فظلّ متقوقعًا في قريةٍ من القرى، أو نجعٍ من النجوع، أو منطقة من المناطق.

كمْ مِن شاعر أو كاتبٍ كانت لديه مقدرةٌ ليكون فذًّا أو فريدًا في فنّه، لولا إهماله في تطويرِ موهبته، ودفنه لعبقريّته في مهدها، فصارَ نسيًا منسيًّا.

كمْ من رسّام برزت ملامحُ إبداعه الفنيّة، فلم يُلقِ لها بالًا، ولم يكترثْ لها، فحَكَم عليها بالإعدام قبل مولدها، ووأدها قبل خروجها للحياة.

كَمْ من شخصٍ حَسَن الصّوت قتلَ موهبتَه بعدم المِران على تحسينها، وقضاء الوقت لتهذيبها، كم... وكم... وكم...

فلا تطفِئ مواهبك واقضِ الوقتَ الطويل في استثمارها، ولا تظنّ أنّ مواهبك تهبط عليك من السّماء، أو تنشقّ الأرض عنها، أو تراها فجأةً أو يدلك عليها غيرك، فلن تبرز وتتقوّى إلّا بك.

إنّني أدعوك إلى قراءةِ تاريخ أيّ عبقريّ أو موهوب في الحياة، ستجد أنّ عبقريته وموهبتَه ما كانت لتخرجَ إلى النّور إلّا من خلال ثلاثةِ عناصر: الرّغبة، والوقت، والجهد.

لا تجعلْ مشاغلَ الحياة تطفئ مواهبَك المتعدّدة، واحرصْ على أن تترك أثرًا واضحًا وبارزًا في مجالك قبل أن تخرج من هذه الحياة.

مصطفى المنفلوطي كان موهوبًا بما أظهره من موهبةِ الأدب وفنونِ القول، ومصطفى كامل كان موهوبًا بما أظهرَه من موهبة السّياسة، والدّكتور مصطفى محمود كان موهوبًا بما أظهرَه من موهبتِه العلمية والإيمانية، وآدم سميث كان موهوبًا بما أظهرَه من موهبته الاقتصادية العالمية.

وحتّى لا تطفئ مواهبك اعلمْ أنّ الموهوب لا بدّ أنْ يمرّ بمرحلتين: المرحلة الأولى مرحلة التّلمذة، والمرحلة الثانية: مرحلة

الأستاذيّة، لكنْ يجب أنْ نعلم أنّ هاتين المرحلتين متداخلتان بشكل كبير، فمرحلةُ التّلمذة متضمّنة للأستاذية، ومرحلةُ الأستاذيّة مبطنة بمرحلة التّلمذة، ذلك أنّ الشّخص الموهوب يتعلم ويبدع ويبتكر، ويتعلّم في وقت واحد، «فتوماس إديسون» عند اختراعِه للمصباح جمعَ بينهما في آنٍ واحد حيث كان يتعلّم ويخترع، فتعلم من فشله، واخترع مصباحَه الذي لم يسبقه إليه أحد.

وخلاصةُ القول: أنّ هناك مهمّتين أساسيّتين يجب على الشّخص الموهوب القيام بها:

المهمّةُ الأولى: اكتشافُ مواهبه المخبوءة في داخله، والمطمورة في شخصيته.

المهمّة الثّانية: العملُ على توجيه تلك المواهب الوجهةَ الصّحيحة، ومحاولة إبرازها للنّور، فليس أحدٌ يستطيع أنْ يخلق فيك مواهبَ ليست موجودة لديك، وقلّ مَن يساعدك على إبرازها.

زُبدةُ القوْل:

- الموهبةُ وحدها لا تكفي إذا لم تُستثْمَر وتُنمّى وتتطوّر.
- مِن الضّروري جدًّا أنْ تتعرّف على مواهبك التي منحك الله، فتوظّفها في بابها.
- تعرّفْ على أشخاصٍ لهم نفسُ مواهبك، وسوف يرتقون بك ويدفعونك للأمام.
- شاركْ في المسابقات والأندية التي تهتمّ بمجال موهبتِك لثقلها وتطويرها.

ستظلّ تتعلّم طوالَ حياتك

بعضُنا- للأسف- يُخيّل إليه أنّه وصل إلى ذرْوة العلم، وانتهى من مرحلة التعلّم؛ بمجرّد حصولِه على شهادة البكالوريوس، أو حتّى درجة الدكتوراه، ولا يدري أنّه منذ الولادة قد التحق بمدرسةٍ أرحبَ وأوسعَ من ذلك، حيث إنّها مدرسةٌ لا تغلق أبوابها، ولا توصِد فصولَها طيلة العمر، وسيظلّ الإنسان ينْهلُ منها ويغترفُ من مَعينها حتّى ينتهي الأجل، إنّها مدرسة الحياة وجامعةُ العمر، التي لا بدّ أن يلتحق بها كلُّ مَن قُدّر له الوجود، ولا غنى له عنها، ويتعلّم منها في كلّ يوم دروسًا جديدة وفوائدَ جليلة.

وحينَ يظنّ الشّخص هذا الظنّ، وأنّه قد بلغ الغاية، وشارفَ على الكمال؛ فهذا موضعُ الخطر، ومكْمنُ الخطورة، ونقطة الانحدار إلى أسفل، وبدايةُ السّقوط؛ لأنّه كلّما ارتقى في العلم وازداد منه علمَ أنّه بحاجةٍ إلى المزيد، وكان الإمامُ الثّوري- رحمه الله- يقول: «لا نزال نتعلّم ما وجدْنا مَن يعلّمنا».

إنّني لا أريد التّركيز في هذا المقال على التّعليم بالمعنى المعروف الذي يدرّس في المدارس والمعاهد والجامعات وحِلَق العلم، فهذا أمرٌ لا ينكره ذو بصيرة، وله مقامٌ غير هذا المقام، وإنّما أريد الحديثَ عن مدرسة الحياة، وفصولِ العمر، وأبوابِ الزّمن، أريد التعلّم الذي يحدُث في المناسبات والمعاملات والمنزل والعمل ومعاشرة النّاس، التّعلم الذي يحدُث على مدى الحياة ومواقف الدّهر.

فكمْ من أناسٍ لم يقدّر لهم أنْ ينالوا الشّهادات، أو يلتحقوا بالمدارس، أو يتخرجوا من الجامعات؛ لكنّهم بلغوا قدرًا من العلم لم يبلغْه غيرُهم، ووصلوا إلى درجةٍ لم يحظَ بها كثيرٌ ممّن سواهم.

ولعلّك تتذكّر موقفًا مرّ بك يدلّل على ذلك، وقد أدركت أناسًا بلغوا المناصب والشهادات وهُم يجلسون مع آبائنا وأجدادنا ليأخذوا الحكمةَ من أفواههم والخبرةَ من مواقفهم والتصرّفَ السّديد من تجاربهم في الحياة على مرّ الأزمان.

فالعمرُ يكسب خبرة، والتقلّب في مواقف الحياة يولدُ الحكمة.

لقد كان في قريتِنا مَن يُرجَع إليه في المدْلَهِمّات والأمور المعضلة، ويؤخَذ برأيه في حلّ كثيرٍ من المشكلات، وهو مسكينٌ ليسَ له نصيبٌ من الشّهادات، وليس عنده قدرٌ من التّخصصات.

والشّخصُ الموهوب ينهلُ من خبرات هؤلاء، ولا يستنْكفُ عن الجلوس معهم.

وهناك أمران سيجعلانِك أكثرَ حكمة بفضل الله تعالى: الكتب التي تقرؤها، والأشخاص الذين تلتقي بهم. فكما يقولون: «سلْ مجرّبًا ولا تسأل طبيبًا» لأنّ المجرّب عنده الخلاصة بخلاف مَن يضع لك الاحتمالات ويجرّبها، فمَن جرّب فقد شعرَ بالشّيء المجرَّب وأحسّه ولامسه، ولذا كان من أقوال الفلاسفة: «الحكمةُ الحقيقيّة للأمم هي التجربة».

إنّ الأثرَ الذي تتركه دروسُ الحياةِ قد يكون أعمقَ وأوسعَ ممّا يتعلّمه الشخص من خلال الدّروس الأكاديمية، فقد نرى عبقريًّا فذًّا لم ينلْ شهادةً واحدة، ونرى مجرمًا فاشلًا وقد حصّل أعلى الشّهادات لكنّها لم تحُلْ بينه وبين السّقوط في الهاوية والانحدار في هذا المستوى.

زُبدةُ القوْل:

- مـدْرسـةُ الـحياة أرحـبُ وأوْسـع مِـن الـمدارس المعروفة، ودروسُها أقوى، وأثرُها أبقى.
- ستظلّ تتعلّم ما دمتَ حيًّا، فلا توجد مرحلةٌ في حياتك بلا دروس.
- لا تُـمرّر مـواقفَ الـحيـاة على أنّـها تـجارب مجرّدة؛ بل حوّلها إلى دروسٍ مركّزة.
- لا تـتوقّـف الـمعـلـومـاتُ عـلـى الـشّـهـادات الدّراسية؛ فالحياةُ تمنحك خبرةً أعمق.

احترمْ مواهبَ غيرك

إنّ أكثرَ شيء يسْعِد الآخرين، ويُثْلج صدورَهم، ويجعلُهم يقبلون عليك، ويأنسون بوجودك، هو أنْ تحترم مواهبَهم، وأنْ تثني على أعْمالهم، وأن تشكرَ جهودهم، وأن تبتعد عن الحطّ من قدرهم، وتسفيهِ إنجازاتهم- وإنْ كانت متواضعة- وتجاهل إمكاناتهم- وإن كانت ضعيفة- حيث إنّ النّفس البشرية تبشُّ لذلك.

وأيّنا لا يحبّ نفسه! أيّنا لا يقدّر ذاته! أيّنا لا يُنزل نفسَه منزلةً سامية، ولا يرتقي بها مكانةَ عالية!

إنّ الاحترام هو تقديرُ الإنسان لقيمةِ شيء ما، أو شخص ما، والشّعور بتميّزه واختلافه عنْ غيره، وهو شعورٌ متبادَل إذْ أنّك كلَّما تعاملت مع النّاس باحترام مواهبهم وقدراتهم كلما بادلوك نفسَ الشّعور، وربّما بشكل أكبر، وهو صفةٌ حضّ عليها الإسلام، وأعطى لأصحابها قيمةً كبيرة.

إنّ احترامَ مواهب الآخرين لا يعني بالضّرورة أنّك تحبّهم، وإنّما يدلّ على حسن خلقك وجَمالِ سجيّتك، ونقاءِ مَخْبرك، فاحترمْ مواهبهم حتّى لو كنت لا تحبّهم.

كمْ من مواهبَ برزت وخرجتْ للنّور بسبب كلمة حانية، وعبارة لطيفة، وتحفيز على إبرازها، وحثّ على توجيهها الوجهةَ الصّحيحة الراشدة.

وهذه الحادثةُ القديمة خيرُ دليلٍ على ما أقول، كان زاذان مغنّيًا.. صاحبَ لهو وطرب.. فجلس مرّةً في طريق يغنّي.. ويضرب بالعود.. ولَهُ أصحابٌ يطربون له ويصفقون ..فمرّ بهم عبدُ الله بن مسعود- رضي الله عنه-.. فأنكَرَ عليهم فتفرّقوا ..فأمسك بيدِ زاذان وهزّه، وقال :ما أحسنَ هذا الصّوت لو كان بقراءة كتابِ الله تعالى ..ثمّ مضى.. فقال زاذان لأصحابه: مَن هذا؟

قالوا: عبد الله بن مسعود ..

قال: صاحب رسول الله ﷺ؟!

قالوا: نعم.

قال زاذان: فألقيتْ في نفسي التَّوبة، فسعيتُ أبكي، وأخذتُ بثوبه. فأقبلَ عليّ فاعتنقني وبكى، وقال: مرحبًا بمَن أحبّه الله. ثمّ لازم زاذان ابنَ مسعود حتّى تعلّم القرآن، وصارَ إمامًا في العلم.

فعندما تلامسُ الكلمات القلوبَ، وتخرج بنبرةٍ صادقة فإنّها تنفُذُ إلى أفئدة الآخرين، وتفعل الأعاجيب، فتشحذُ الهِمَم، وتثبّت العزائم، وتبثّ الحماسة.

وعلى النّقيض من ذلك، فإنّ تسفيهَ مواهب الآخرين يتسبّب في إيلامهم، وربّما في تراجُعهم وإصابتِهم بالتّراخي والتّقاعس، ويدفن مواهبهم في مهْدها، ويقتلها في صغرها.

حدّثنا أحدُ الأساتذة- وهو من أعلام التّفسير- أنّه ترك فنّ الخطابة بسبب أسلوب فظّ من أحدِ المستمعين له، تركَ في نفسه أثرًا سلبيًّا جعله يُحْجم عن الخطابة، وهو مِن أولى الناس بذلك.

وهذه جريمةٌ بشعة تقتلُ بريقَ الإبداع، وتقضي على المُبْدعين، وتخرج جيلًا فاقدًا للثقة، بعيدًا عن خوض غِمار التّجربة، واللّحاق بركب التقدم.

فقدّرْ مواهبَ الآخرين، وافرحْ لفرحهم، فإنّ أسعدَ إنسانٍ هو ذلك الذي كلّما رأى شخصًا سعيدًا أحسّ بالسّرور يتغلغل في نفسه.

زُبدةُ القوْل:

- **قدّرْ مواهبَ الآخرين، ولا تسفّه منها؛ يقيّض الله لك مَن يحترم مواهبَك.**
- **لا تفرَحْ لسقوطِ غيْرك؛ فأنت لا تدري ما تُضْمره لك الأيام.**
- **رُبّ كلمة لشخص يولَد منها التّميز والإبداع، وكلمةٍ أخرى كانتْ سببًا في التراجع والانهزام.**
- **مِن حقّ الأشْخاص الموهوبين أنْ تسدَى إليهم الكلمات الإيجابيّة التي ترتقي بهم، وتسمو بمواهبهم.**

أيّ الثّلاثة تختار؟

قدْ لا يُحسن البعضُ الاختيار، وربّما يقدّم شيئًا ليستْ فيه منفعتُه، ويؤخّر شيئًا ينفعه ويترتّب على وجوده مصلحة، ومنشأ ذلك قصَرُ عقله، وإدراكُه المحدود، وفكرُه غير المعصوم، وما يعْتريه من أهواء وتقلّبات، ويشوبه من نزعاتٍ ورغبات.

والقرآنُ الكريم قد أقرّ هذا المسلك إقرارًا بيّنًا ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡ﴾[البقرة: ٢١٦].

وهذه حقيقةٌ لا مريَةَ فيها ولا مِراء، إذْ لو كانت كلّ اختياراته صائبة ورغباته ناجحة؛ لَمَا وجد الخيرُ والشّر والصّلاح والفساد والنّفع والضّر، وإنّما هداه ربّه إلى الطريقين، وأرشده إلى السّبيلين، وهو حرٌّ مُختار، ليس عليه في ذلك إجبار ﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ١٠﴾[البلد: ١٠]

ولعلّ مثالًا واحدًا يكفي لإبرازِ هذه الحقيقة، فالنّاس كلّهم يستيقظون في الصّباح ليبدءوا يومًا جديدًا وحياةً نشيطة، فمنْهم مَن يتناول فطورَه ثمّ يذهب لعمله وسعيِه وكَدّه، وصنفٌ آخر يخرجُ للبحث عن موطنَ يضيّع فيه وقتَه، ويقضي فيه على صحّته،

وكلاهما حرٌّ مُختار لم يكرهْه كارهٌ، ولم يجبرْه مُجْبِر.

فالواقعُ يُثبت أنّ حُسن التّعقل والقليل مِن الرّويّ والتثبّت والأَنَاة والتّؤدة؛ كلّ ذلك يجعل الإنسانَ يُصيب الهدف، ويحقّق الغاية المرجوّة، وينال ما يرجو، وهو معَ كلّ هذا يحيا بين قضاء الله وأقداره.

فعليكَ بالتّركيز في اختياراتك، ولا تنْخدع مِن أوّل وهلة؛ بل تأنّ وتريّث.

في يوم من الأيّام، خرجت امرأةٌ من منزلِها صباحًا، فرأت ثلاثةَ شيوخ ذوي لحيةٍ بيضاء طويلة، جالسين في فناء منزلها، وهي لا تعرفهم، وقالت في نفسها: مَن هؤلاء الشيوخ لا أظنّني أعرفهم، ولكنْ لا بدّ أنّهم جوْعى.

توجّهت المرأة إليهم، وقالت لهم بابتسامةِ ترْحيب: تفضّلوا بالدّخول حتّى أقدّم لكم الطّعام. ردّوا عليها: لا يُمكننا الدّخول حتّى يأتي الزوج.

وفي المساء، عندما عاد زوجُها من العمل أخبرتْه ما حدث، فقال لها: اذهبي واطلبي منْهم الدّخول لتناول الطّعام. فخرجت المرأةُ وَدَعَتهم للدّخول، فردّوا ردًّا غريبًا جدًّا! قالوا لها: لا نستطيعُ أنْ ندخل المنزل مجتمعين!

سألتْهم المرأة: ولكنْ لماذا؟! فشرح لها أحدُهم قائلًا: إنّ هذا الشّيخ اسمُه الثّروة، (وأشار إلى أحدِ أصدقائه) وهذا النّجاح

(وأشار إلى آخر)، وأنا المحبّة.. وأكملَ كلامه قائلًا: والآن ادْخلي وتناقشي مع زوْجك، واسأليه مَن منّا تريدان أنْ يدخل منزلكم؟!.

دخلتِ المرأةُ متعجّبة إلى زوجها، وأخبرتْه ما قاله الرّجلُ، فغمرتْه السّعادة، وقال لها يا لنا من سُعداء الحظّ، فلندعو الثّروة حتّى تدخل بيتنا، ارجعي وادْعيه للدّخول حتّى يمتلئ منزلنا ثراءً وأموالًا.

خالفتْه الزّوجة الرّأيَ قائلة: ولِمَ لا ندعو النّجاح؟ دارَ هذا الحديث على مسمع من ابنهم، وهو في إحدى زوايا المنزل، الذي قال مسرعًا: أليسَ من الأفضل أنْ ندعو المحبّة؟ فمنزلنا حينَها سوف يمتلئ بالحبّ والودّ.

قال الأب: دَعونا نأخذُ بنصيحة ابننا. اخرجي وادْعي المحبّة ليكون هو ضيفنا.

خرجتِ المرأةُ، ودَعَت المحبّة للمنزل، وبالفعل نهض المحبّة، وبدأ بالسّير نحو المنزل فتبعَه فورًا الثّروة والنّجاح، نظرتْ إليهم المرأةُ مندهشة، وقالت: ولكنّني دعوت المحبّة فقط، فلماذا تدْخلان معه؟

ردّ الشّيخان بابتسامة: لو كنت دعوتِ (الثّروة) أو (النّجاح) لظلّ الاثنان الباقيان خارجًا، ولكنْ كونك دعوتِ المحبّة فأيْنما يذهبُ نذهبُ معه.. أيْنما توجد المحبّة يوجد الثّراءُ والنجاح.!

زُبدةُ القوْل:

- المحبّةُ تجلب غيرَها، وتصنعُ النّجاح والثروة.
- المحبّةُ ثروةٌ لا تقدّر بمال، ولا تُشتَرَى بأغلى الأثمان.
- أعمِلْ عقلَك جيدًا قبل أنْ تختار، فقد تقبل ما لا ينفعُك وأنت لا تدري.
- المحبّةُ حديقةٌ غنّاء تجمعُ كلّ ألوان الخيرِ وبذورِ الأمل وأغصانِ التّفاؤل.

معرفةُ الطّريق وحدَها لا تكفي

ممّا لا جدالَ فيه أنّ المعرفة المجرّدة وحدَها لا تحقّق هدفًا، ولا تنجز عملًا، إذا لم يصحبْها سعيٌ مستمرّ وسيرٌ دءوب للوصل إلى نهاية الطّريق، وبلوغ الغاية المطلوبة.

إنّ معرفتَك بأهمية بناءِ منزل تسكنُه وتضمّ فيه أسرتك أمرٌ مهمّ، ومسألة أكيدة لكنها تبقى عالقةً في الخيال حبيسةَ التّنفيذ ما لم تسعَ لذلك، ثمّ تشرع فيه.

إنّ علمَك بقيمة تكوين أسرةٍ سعيدة، وعيشة هانئة؛ فكرةٌ سديدة، لا ينازعك فيها كائن من الكائنات، لكنّها تظلّ حلمًا جميلًا لا يمتّ بِصِلة للواقع ما دمتَ بعيدًا عن العمل لذلك.

كثيرٌ هُم الذين يعرفون ضررَ التّدخين على الصّحة، وما تسبّبه التُّخمة، وما يعود على الشّخص من سلبيّات جرّاء بُعدِه عن الرّياضة، وعزوفِه عن القراءة، لكنّ هذه المعرفة جوفاء ولا طائلَ من ورائها!.

تنميةُ مهاراتك وإبرازُ مواهبك التي تملكُها، وتكون سببًا للتّغير

بالنّسبة لك شيء رائع، لكنّه يبقى قيدَ التّنفيذ ما دمتَ خارج نطاق الخدمة.

إنّ العملَ المستمرّ هو الوسيلةُ الوحيدة للانتهاء من المراد، وإنجاز ما ترنو إليه.

هل سبقَ لكَ أنْ شاهدت عاملًا وهو يحطّم الأحجار والصخور؟

إنّه يظلّ يضرب الصخرةَ بفأسه ومِعْوله، ربّما مائة مرّة دون أن يبدو فيها أدنى أثر يُبشّر بكسر أو فلْق، وليست الضّربة الأخيرة هي التي حقّقت النتيجة! بل المائة ضربةً التي سبقتها.

وما أكثر الذين يرجعون من منتصف الطّريق، بل ما أكثر الذين ييأسون من كفاحهم قبل أن يجنوا ثمرتَه ربّما بزمنٍ وجيز، ولو استمرّوا وثابروا حتّى الضربة الواحدة بعد المائة لحصدوا كلّ ما زرعوا ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾[هود: ١١٢].

لقد صدقَ ابنُ مسعود- رضي الله عنه- حين قال: «كم مِن مريدٍ للخير لن يصيبه».

فإنّ الإرادة بمفردها ضربٌ من ضروب الأحلام، ونوعٌ من أنواع التمنّي لم يولد بعد ولم يخرجْ من رحم الأمنيات، فإذا تحقّق وخرجَ لحيّز الوجود ولامسَ الهواء؛ صارَ واقعًا نافعًا يانعًا وإنْ صاحبَه ألمٌ، ورافقَه نَصَب.

إنّ الإصرارَ على النّجاح، والصّبرَ على الإخفاق؛ لهما من أركان النّجاح، وإنّ من الأخطاء القاتلة أنْ يتراجع الشّخصُ، أو أنْ

يلتفت للوراء أثناءَ سيْره في طريق الفلاح لمجرّد أن فشلَ مرّة أو مرّتين، أو أكثر أو أقلّ، هذا التّراجعُ يكون بمثابة الموت المعنويّ للإنسان لأنّه أفقد نفسَه الأمل، وأبعدَها عن التّفاؤل، ومَن يفقدِ الأمل يخسرْ حياته، كما قال الشّاعر:

ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل

الأملُ قوّة عظيمة...

الأملُ هو وقودُ العمل...

هل رأيتَ الطّفل بعد أنْ يولَد ويكبر شيئًا فشيئًا، ويحاول أنْ يسير على قدميه فيكبو مرّة ويخفقُ أخرى، ويتماسك ثالثة، لكنّ الأمل يملأ جوانبَه، والإصرارَ والاستمرارَ يحتويانه، فيديم الجدّ حتّى يصل لبُغْيته، ويتقن المشي بدقة.

توقّع أنّك قد تخفق في منتصف الطّريق أو تتعثّر، لكنّك لن تنتكس، ولن تتراجع لأنّك تصرّ على النّجاح، وتستمرّ في سيْرك، وتصمّم على تحويل الإخفاق إلى عنصر قوّة، ووقود عمل.

فاعملْ.. واعملْ.. واعمل، واستمرّ؛ فلا بدّ أنْ تنجح في النهاية ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾[الكهف: ٣٠]

زُبدةُ القوْل:

- المعرفةُ وحدها لا تكفي، لا بدّ أنْ يصاحبها التّطبيقُ؛ فهو طريقُك إلى القوّة.
- المعرفةُ دونَ التّنفيذ يمكنها أن تـؤدّي إلى الفشل والإحباط.
- ابدأ بتحويل معرفتِك إلى تطبيق، واندمجْ بها في حيّز التّنفيذ وستُدْهشك النتائج.
- قمْ بكتابة معارفك واحدةً تلو الأخرى- ولوْ على فترات-، وأمْعن النّظرَ في موقفك منها.

الإنْصاتُ الجيّد هو بدايةُ التّواصل النّاجح

مِن المدْهش في عالمنا أنّ الذين يجيدون الإنصاتَ قلائلُ جدًّا، وأنّ الذين يحسنون الثّرثرة لا يُحصيهم حدّ، ولا يعدّهم عدّ، وربّما لا يشعر بك وأنت تتململ أمامه، وتتقلّب يمينًا وشمالًا، وهوَ يمضي في ثرثرته لا يكترثُ لحالك، ويظنّ أنّ ابتساماتك الصّفراء إعجابٌ له! وأن تغيّر لونِ وجهك هو مِن قبيل البشاشة!.

والمشكلةُ الكبيرة لا تكمنُ في كوْنهم يتكلّمون بكثرة، ولا يفسحون المجالَ لغيرهم للتعبير عنْ رأيهم، أو عن مشاركتهم الرّأي؛ وإنّما تكمُن في أنّ جلّ كلامِهم لا طائلَ من ورائه لدينٍ أو دنيا، ولا يقدّم نفعًا للآخرين.

وقد غفل هؤلاء عن جانبٍ مهمّ، وهو أنّ الشّخص قد يترك أثرًا في الآخرين بصمتِه، ويبقي ذكرًا بين مَن يجلس بينهم بكلماتِه القليلة، لكنّها سديدة ومَحْسوبة، فيظلّون يمدحونه ويثنون عليه، وهو لم يتعبْ حنجرته، ولم يتسبّب في وجع رؤوس الآخرين.

يقول «ديل كارينجي» أحدُ أشهر الكتّاب ومعلّمي الإدارة

وفنّ القيادة: قابلتُ أحدَ متخصّصي البساتين في حفل عشاءٍ أقامه أحدُ ناشري الكتب في نيويورك، ولم أكنْ قد تحدّثت إليه من قبل، بل لم أكنْ قد تحدّثت إلى بستانيّ من قبل، وجلستُ على حافّة المقعد واستمعتُ إليه وهو يتحدّث عن النباتاتِ والتّجارب في تطوير أشكال جديدة من الحياة النباتية في الحدائق المغلقة، ووجدتُ أنّ حديثه خلّابٌ ورائع، فتحدّثنا لساعات إلى أنْ جاء منتصف الليل وألقيت تحيّة المساء على الجميع، فأثنى عليّ وقال: إنّني كنتُ مشجّعًا للغاية، وإنّني متحدّث رائع، وأنا في الواقع لم أقلْ شيئًا يُذكَر، ولم أستطع قولَ شيء، إلّا إذا تغير الموضوع لأنّني لا أعرف شيئًا عن النباتات، لكنّني فعلتُ ما يريده الرجل؛ لقدِ استمعت إليه باهتمام؛ لأنّني كنتُ فعلًا أهتمّ بما يقول، وقد شعُرَ هو بذلك، وهذا النّوع من الإنصات هو أكبرُ هديّة نستطيع تقديمها للآخرين، فقط بالاستماع قالَ عني: متحدّث رائع!.

فالإنصاتُ الجيّد هو وسيلةٌ للتّواصل الفعّال، وهو فنٌّ لا يُجيده إلّا أصحاب المهارات، فكثيرٌ منّا يقضي وقتًا طويلًا في تعلّم طرق التّواصل مع الآخرين، وفنّ كسب الأشخاص، وربّما يفوّت واحدةً من أكثر المهارات أهميّة وسهولة، ويمكن للجميع أنْ يمارسها في أيّ مكان وزمان: إنّها مهارة الإنصات الجيد.

كثيرٌ من المشاكل المجتمعيّة قد تقع بسبب البُعد عن هذه المهارة، وإهمالها:

- فالزّوجان لا ينصتُ أحدُهما للآخر، ولا يعطيه فرصةً للتحدّث، فتتفاقم الأمور وتتّسع.

- والمديرُ الذي لا ينصتُ لموظّفيه إنّما يوطّن للكراهية، ويسمح للحقد أن ينتشر ويسود.

- والأبُ الذي لا يُنصت لأبنائه فينشأ العقوقُ، ويأتي سوء المعاملة.

- والصّديقُ الذي لا يلقي سمعَه لصديقه ويودّ أن ينفرد برأيه واعتقاده؛ إنّما يدعو للجفاء وعدمِ الألفة.

يذكُر «ستيفن كوفي» أنّ أبًا جاءه يشكو سوءَ العلاقة بينه وبين ابنِه المراهق قائلًا: «لا أستطيعُ أنْ أفهم هذا الولد، إنّه لا يسمعني». فقال له: هل يُمكن أن تعيد عليّ ما قلتَه؟ فأعاد عليه ما قاله، فردّ عليه ستيفن كوفي قائلًا: أنا لا أفهمُ ما تقول إذا أردت أن تفهمه لا بدّ أن تستمع إليه أنتَ لا أن يستمع إليك هو!!.

مِن فوائد الإنصات الجيد:

- منحُ الفرصةِ للآخرين ليُخرجوا ما بِهِم من مشاعر حقيقية.

- الإنصاتُ الجيد يساعدنا على فهْم أنفسنا بشكل أفضل.

– يساعدُنا على التخلّص من التّمركز حول أنفسنا والشّعور بغيرنا.

– يدفعُنا إلى التقرّب من الآخرين ومعرفتِهم بشكل أعمق.

الخلاصةُ: أنّك تستطيع أنْ تبيع الثّلجَ لسكّان الإسكيمو؛ إذا أرخيتَ لهم سمعَك، وفهمت ما يريدون أن يقولوه.

زُبدةُ القوْل:

- الـثّرثـرةُ الـفـارغـة لا تـبـنـي مَـجـدًا، ولا تـتـرك أثـرًا.
- قدْ تبقي ذكرًا بصمتِك أو كلماتك المعدودة.
- الـحـكـيـمُ يـتـحـدّث عـنـدمـا يـكـونُ لـديـه شـيء يـقـولـه، وغـيـرُه يـتـحـدّث عـنـدمـا يـرغـب في التحدّث.
- درّبْ نفسَك على قلّة الكلام، وكثرة العمل؛ تُفْلح.

كبْسولاتُ المحبّة

يطمحُ كلّ شخصٍ على ظهْر البسيطة، ويأنسُ بأنْ يكون محبوبًا بين النّاس، وأن يجد لنفسِه القبولَ في قلوبهم، والنّظرةُ المشرقة في عيونهم، وأنْ يحظى بالابتسامة اللّطيفة التي تبدو على شِفاههم، لكن مَن يظنّ أنّ النّاس كلّهم قد يصدرُ منهم ذلك أو يجتمعون عليه لشخصٍ ما فهو واهمٌ قليلُ الخبرة، بعيدٌ عن الواقع، يحيا في دنيا الخيال، ويتقلّب في حلم المثالية المعدومة.

ومِصْداق ذلك أنّك تقابل ضروبًا من النّاس في مشوارِ حياتك، ورحلة عمرك، يختلفون في أمزجَتِهم، ويتبايَنون في أهوائهم وآرائهم، ويتقلّبون في رضاهم وسخطهم على حدّ قول القائل:

النّـاسُ شتّـــــى إذا ما أنتَ ذقـتهمُ — لا يستووْنَ كمَـا لا يستوي الشّجرُ
هذا لـهُ ثمـرٌ حُـلوٌ مذاقـتـــهُ — وذاكَ لـيسَ لـه طعمٌ ولا ثـمـرُ

فمِن الناس مَن لا يهنأ بطعام ولا شراب لأنّك متقدّم في جانب من الجوانب، ومنهم من يُخاصمُ النّومُ جفونه لخيرٍ نزلَ بك، أو نعمة ساقَها الله إليك، ليس لك فيها إلّا السّعي فحسب، ومنهم من يحمل لك الضغينةَ وينتظرُ وقوع البلوى عليك؛ لأنّ الله كتب لك القبولَ في نفوس بعضِ الخلائق.

قدْ تقول لي: أينَ الكبسولات التي عنونْتَ بها مقالك؟ وأين المحبّة التي صدّرت بها كلامك؟!.

دعْني أقول لك لا تتعجّل؛ فإنّ معرفة طبائع الخلقِ واختلاف مشاربهم؛ هوَ تشخيص للدّاء، وهذا أمرٌ يتقدّم معرفةَ الدواء.

واعلمْ أنّ هذه الكبسولات ليست العصا السّحرية التي تحوّل لك نفوسَ الناس بين عشيّة أو ضحاها، أو تسوق إليك القلوبَ سوْقًا بين غمضة عينٍ وانتباهتها.

ولعلّك تتمثّل الآن موقفًا يتراءى لك مِن بعض الأشخاص حين ابتسمتَ لهم فقابلوك بالعبوس وتقْطيب الوجه، لا لذنبٍ اقترفته تُلامُ عليه؛ وإنّما جزاء تبسّمك! لعَلّك تتمثّل الآن أناسًا تلطّفت معهم في القولِ والإشارة فكافئوك بالشدّة والقسوة، أو منحتهم اهتمامًا ففاجئوك بالتجاهل والسّخرية، أو كنت شجاعًا فبادرتَ بالاعتذار عمّا سلف منك فلم يقبلوا اعتذارَك أو يُقيلوا زللك، ولعلّ مرجع ذلك ومنشأه إلى النّظرة البشرية القاصرة التي هي حبيسةُ التّأثر بالمواقف الحياتية دونَ النّظر إلى الحيثيات والعواقب غالبًا، ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾[الرحمن: ٦٠].

أعودُ بك – أيّها القارئ الكريم – إلى كبسولات المحبّة، فقد حان موعدُ تناولها، ولعلّها تساعد في رضاك عن نفسك أوّلًا، وتقديم الطّمأنينة لقلبك قبل إسدائها لغيرك:

- ابدأ الآخرينَ بالسّلام والتّحية، فلذلك وقعٌ طيّب في القلوب.

- ابتسمْ فالابتسامةُ لها مفعولُها الكبير في استمالة النّفوس «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ» صحيح ابن حبان.

شارِكْهم في أفراحهم وأتراحهم كي تتغلغل في نفوسهم.

إنِ استطعت قضاءَ حاجة لهم فلا تتأخّر ولا تهمل «وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ» رواه مسلم.

سلْ عن الغائب، وتفقّد حالَ الحاضر منهم.

لا تبخلْ بالهديّة والعطيّة؛ فتأثيرُها في النّفوس ملموس «تَهَادُوا تَحَابُّوا» رواه البيهقي.

لا تنتظرِ المقابلَ منهم إنْ قدّمت لهم معروفًا ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾[الانسان: ٩]

لا تتكبّر؛ فالناس ينْفرونَ من هذه الصّفة، ومن صاحبها «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ كِبْرٍ» أخرجه الطبراني.

وسّعْ دائرة معارفك، واعملْ على كسب الأصدقاء ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟﴾

[الحجرات: ١٣].

زُبدةُ القوْل:

- السّبيلُ إلى السّلامة من النّاس شاقّ، لكنْ ينبغي أن نتّبع وسائل النّجاة.
- أحسنِ الظنّ بالآخرين حتّى يتحقّق لك خلافه.
- ما أجملَ كلمةَ الإحسان! تحملُ في مضمونها دلالاتٍ رائعةً لا حصرَ لها، فأحسِنْ إلى الناس.
- كنْ كالعطرِ يفوح ريحُه وعبيرُه، وتألفه النّفسُ دون أن يسبّب إزعاجًا .

أنتَ مخلوقٌ للمعالي

ينبغي أنْ تعتقد أنّك ما خلقتَ للصّغير من الأشياء، وما جئتَ للحياة لسفاسف الأمور، أو لتكونَ زائدًا عليها؛ وإنّما خلقتَ للمعالي، وللكبير من الأشياء، ويجبُ أن توطّن نفسك على ذلك، وأنْ ترسّخ ذلك في شعورك.

وهل الصّغير إلّا للصّغير؟! ومَن يواجه الصّعاب ويتحمّل التّبعاتِ إذا لم تكنْ أنت؟ ومَن يخوضُ غمار الحياة، ويسبُرُ أغوارها إذا لم تتقدّم أنت لذلك؟.

إنّك إنْ أحجمتَ عن هذا السّبيل، وقبعْتَ في الظلّ، واستطْيَبت ما أنتَ عليه، ربّما لا تقومُ لك قائمة بعد، ولا تثبُ من رقادك مدى الحياة.

ومَن يتهيّب صعــودَ الجبالِ يعشْ   أبَــدَ الدهــــرِ بيــنَ الحــفرْ

إنْ نفسَك تُعطيك من الهمّة والنّشاط بقدر ما تحدّد لها من الأهداف، وتمنحك من الطّاقة مثْلما تمنحُها أنت ما ترجو بلوغَه.

ويتجلّى ذلك في حياتنا الواقعية: أنّني عندما أطلب منكَ أنْ تسير على قدميك مسافة (٥) كيلومترًا، وأن تقطعها في مرحلةٍ

واحدة؛ ربّما يعتريك الإجهادُ إذا بلغت (٣) كيلومترًا، فإذا انتهيتَ من المسافة كاملةً شعُرتَ بالإعياء والنّصَب، فلو افترضت أنّ المطلوب هو قطع مسافة (١٠) كيلومترًا حينَها لن تشعرَ بما شعرتَ به في مسافة (٥) كيلومترًا.

كذلك مَن شارك في مسابقة القراءة، وكان المقرّر أن يقرأ (١٠٠) صفحة في خلال شهر فإنّه قد يصيبه المللُ إذا قاربَ النّصف، فإذا كان المقرّر قراءة (٢٠٠٠) صفحة، فالملل قد يأتي بعد تجاوزِ هذا الكمّ، وذلك لأنّ نفْسَك أعطتْك من القوّة والاستعداد بقدر ما حددت لها.

فاخترْ أهدافك، وتخيّر طموحاتك، ولتكنْ ساميةً عاليةَ القدر، نادرة الحدوث.

لَــهُ هِمَمٌ لا مُنتَهــى لِكِبارِها وَهِمَّتُهُ الصُغــرى أَجَلُّ مِــنَ الدَهرِ

والنّاس متفاوتون في الهِمم والأهداف، فمنهم مَن همّته لا تتجاوز لسانه، ولا تنطلق إلى ميدانِ العمل، ومنهم مَن يتطلّع إلى أمورٍ لا تليق به، ولا ترتقي للغاية التي خُلق لها، ومنهم مَن له همّة تناطح السّحاب، وتطاولُ الجوزاء، والقصّة التّالية خيرُ دليلٍ على ذلك وأوضح:

دخل كافورًا مصر عبدًا ليباع في سوق النّخاسين، وبينما هو كذلك سأل رفيقًا له عن أمنيته، وهُما في ذات الظّرف وذلّ الرّق، فقال رفيقُه: أتمنّى أنْ أباع إلى طبّاخ لآكل ما شئت متى شئت. وهي بلا شكّ أمنيةٌ وضيعة، ولكنّها قد تكون موضوعيّة في نظر البعض، قياسًا بظرفه ..أمّا كافور فقال: أمّا أنا فأتمنّى أنْ أملك هذه البلاد. تخيّلوا!!عبدٌ في سوق النّخاسين يتنافسُ النّاسُ لشراء حريته.. وهوَ يتطلّع لحكمهم !

ومرّت السنون، وبيعَ كافور لقائدٍ في الجيش، علّمه أصولَ الجنديّة حتّى صار فارسًا مغوارًا، ثم قائدًا عظيمًا، ثمّ أصبح ملكًا، وأحدَ حكّام الدّولة الإخشيدية؛ لينال ما تمنّى.. بينما صاحبُه في مطبخ !

فالإخشيدي اشترى كافورًا، وربّاه، وأحسن تربيته، ثمّ أعتقه، ثمّ جعله من كبار قوّاده لَمَا يمتلكه من حُسْن التّدبير والحزم، بل إنّ بعضَ المؤرّخين يعيدُ له الفضل في بقاء الدولة الإخشيدية، ويكفي أنْ نعرف أنّ الفاطميّين كلّما عزموا على غزو مصر تذكّروا كافورًا، فقالوا: لنْ نستطيع فتح مصر قبلَ زوال الحجر الأسود.. «يعنون كافورًا."أمّا من ناحية الحُكْم بالعدل ففي أيّامه لم يجدْ أصحابُ الأموال مَن يقبل الزكاة منهم.

في وقتِ حُكم كافور الإخشيدي حدثَ زلزالٌ في مصر- أجارنا الله وإيّاكم-، دخل المتنبي على كافور الإخشيدي، وقال قصيدةً يعنينا منها بيتٌ واحد:

ما زلزلت مــــصر من كيدٍ ألّم بها   لكنّها رقصت مـــن عدلكم طرباَ

يقصدُ يومَ حَكمتَ يا كافور (الأرضُ رقصتْ فرحًا من عدلك)، والكيدُ الذي يقصده هنا المتنبّي: هو الحروبُ والأهوال التي عاصرها أهلُ مصر على أيدي الحكّام الذين سبقوا كافور وأفعالهم بالعباد والنّاس والكيد والقهر والقتل والتشرّد، وفرحت الأرض يوم حكمتها.

لنتمنّــــى ونأمــــل وندعـــو   ولـــن يخذلنـــا ملـــكُ الملوك

إنّ صاحب المعالي يترفّع عن الدّنايا، إنّه رجلٌ رِجْلُه في الثّرى وهمّتُه في الثريا، يطمح دائمًا إلى ما هو أفضل وأعلى، ينأى بنفسه عن مجالس اللّغو، ويتألّم من حال مَن يقطع يومه ويهدرُ ليلته فيما لا فائدةَ من ورائه، ولا طائلَ منه.

إنّه يستفيد من حياته، ويستثمر جميعَ أوقاته، ويغتنم كلّ لحظاته؛ لأنّه يُدرك أنّه خُلق للمعالي.

وإذا كانــــت النُّفـــوسُ كِبارًا   تَعِبَـــت في مُرادِها الأجســـامُ

من النّاس مَن يعيش يومَه دون هدفٍ واضح، ولا طموح يودّ تحقيقه، فأصبحوا مجرّد إضافةٍ بالية على هذه الحياة.. فلا تكنْ منهم.

بقدْرِ طموحك ورغبتِك في تحقيق ما تتمنّى؛ يهبُكَ الله- سبحانه- القدرةَ على تخطّي العقبات، والتغلّب على المشكلات.

زُبدةُ القوْل:

- تتفاوتُ الهممُ، وتَتباينُ المقاصد، وتبقى النّفسُ العظيمة لا ترضى بالقليل.
- إذا كانت الهِممُ والآمالُ عاليةً؛ تعبَ الإنسانُ في تحقيق ما يصْبو إليه.
- هل جنحتْ بك نفسُك إلى أنْ تكونَ مميّزًا نافعًا لدينِه وأهله ومجتمعه؟.

اقتربْ مِن «نحن»، وابتعدْ عنْ «أنا»

لفتَ انتباهي أنّ الضّميرينْ «نحن» و«أنا» متّفقان في المبنى، لكنْ بينهما بعْدُ المشرقين في المغزى والمعنى، فعددُ حروفهما متطابقٌ، بينما الفرقُ بينهما كما بين السّماء والأرض.

إنّ كلمة أنا تعني: أنّ كلّ شيء لشخصي، وأنّ كلّ عملٍ إنّما هو لذاتي أنا، فما يصدر عنّي من قول أو فعل لمصلحتي، ولوْ كلّفت برسْم خريطة العالم لرسمْتُ نفسي أنا، فأنًا العالم، والكلّ في خدمتي، وخُلِق ليقومَ على أمري، ويراعي شئوني، ويسهر لراحتي.

الذي يعتقد «أنا» إنّما يصرفُ همّه لذاته، ووقتَه لخدمة جسمه، وينفقُ عمره في إمتاع نفسه، فيبحث عنْ كلّ ما لذّ وطاب ليأكله، وعنِ الفاخر من الثّياب ليلبسه، وعن الحسناء ليتزوّجها، وعمّا يشتهيه من زينةِ الحياة الدّنيا ليحصل عليه، لا يعْنيه من الدّنيا إلّا ما يطلبه هو، وما يريده.

وإذا كان الأمرُ هكذا في المحسوسات والملذّات؛ فإنّه لا يختلف كثيرًا في المعنويات، فلا يهمّه كسرُ مشاعر الآخرين ما دامت مشاعرُه في أمان.

لا يعبأ بأذى الغير ما دام هو محفوظًا من الأذى.

لا يكترث لجرح أحدٍ إذا كان بعيدًا عن الخطر.

لا يبالي إن ترك أثرًا سيئًا ثمّ يمرّ مرورًا عابرًا.

فإذا تحرّر الإنسان من «أنـا»، وارتقى إلى «نحن» فإنّه ينتقل من الأخذ إلى العطاء، ويتحوّل من حبّ الذّات إلى جلب السّعادة للآخرين، ومن التّفكير في النفس فقط إلى حمْل همّ الأسرة والمجتمع، ومِن التّركيز على الجسد إلى الاهتمام بالأمة.

وفي الحقيقة، الذين يعشقون «نحن» إنّما غلبهم على ذلك كرهُهُم لحبّ الذّات فقط، وابتعادهم عن الضّمير «أنا».

إنّهم يحبّون تحمّل الأعباء بقدْر ما يهرب منها أصحابُ الأنا، ويواجهون الصّعاب بقدر ما يفِرّ منها الحريصون على زينةِ الحياة الدنيا فحسب، ويتلذّذون بإسناد المسئولية إليهم بقدْرِ ما يتنصّل منها المحبّون للرّاحة والدّعة.

إنّنا لو ارْتقينا في دراسةِ العظماء وأصحاب المآثر في التّاريخ لوجدناهم يبغضون الأنانية، ويمقتون الأنا، فحياتُهم لإسعاد غيرهم، ونفْع «نحن» وجلب الخير للآخرين يجاهدون للارتقاء بأمّتهم فكريًّا وثقافيًّا واجتماعيًّا.

قلوبُهم ترتوي عندما يرتوي ظمأ الآخرين، وتسعد نفوسهم لفرح المحيطين بهم، يتألمون للمنْكوبين، وتتفطرُ قلوبهم على حال الفقراء والمَساكين، فهُم مع بغضهم للفقر والمرض والحرب، إلّا أنّهم يمزجون ذلك بمشاعر التّعاطف مع المبتلين بها.

إنّني أدعوك- الآن- أخي القارئ، لرسْم خطّ رأسيّ مستقيم، وأنْ تضع في أسفله «أنا» وفي أعلاه «نحن»، وأن تكتب بينهما ما يرتقي بك، ويسمو بروحك إلى العلياء في حياتك في أسرتك.. في عملك.. في مجتمعك.. في أمّتك، ثمّ حدّد مركزَ شخصك في هذا الخط المستقيم، فإنْ قرُبتَ جدًّا من «نحن» فهذا دليلُ رقيّك وسعادتك، وإن قربتَ جدًّا من «أنا» فأعدِ النّظر في تفكيرك، وقمْ بترتيب أولويّاتك مرّة أخرى.

زُبدةُ القوْل:

- طريقُ النّجاح يبدأ عندما ننتصرُ على الـ (أنا) الكامنة في دواخلنا.
- لا تحصرْ نفسَك في سجن (أنـا)، وانطلقْ إلى فضاء (نحن).
- غيابُ (نحن) وسيادةُ (أنا) أدّى إلى تراجع القيم، واضمحلال التّفكير.
- الشّخصُ الأنانيّ منكمشٌ ومحكوم لذاته وعبدٌ لشهواته.

الفشلُ جزءٌ من التّجربة

النّفسُ البشريّة تتأثّر بالسّلبيات كما تتأثّر بالإيجابيات، فتفرحُ للانتصار، وتغتمّ للهزيمة، تشتاقُ للفوز وتتوجّس خيفةً من الفشل، وهذه كلّها أمورٌ طبيعيّة فُطرت عليها النّفس، وجُبلت عليها، لكنّ الذي لا ينبغي هو أنّ البعضَ يعدُّ الفشلَ نهايَةَ الطّريق وخاتمةَ النّجاحات، فيمشي في مشوارِ حياته واضعًا نُصبَ عينيه الفشل، أو حاملًا لافتَتَه السّوداء في يديه، ينام ويستيقظ على كابوسِه المؤرّق والمزعج، ومَن توقّع الفشل - في الغالب - سيفْشَل، كما أنّ مَن توقّع النجاح - في الغالب - سينجح.

والحقيقةُ أنّه لا يوجد فشلٌ حقيقيّ، وإنّما هي تجاربُ ومحاولات قد يتحقّق منها المراد فنحمدُ الله على ذلك، أو لا يتحقّق فنخرُجُ منها بفائدة، فنرضى بقضاء الله وقدَره، ونحن من نُطلقُ عليه اسم الفشل ونناديه بهذا اللّقب، والواقع أنّنا نجحنا في معرفةِ طرقٍ جديدة وأدركنا أساليبَ أخرى متنوّعة تقرّبنا من تحقيق أهدافنا، كما هو موقف «توماس إديسون» الذي مرّ بنا.

لقد بالغ «ونستون تشرشل» حين جعلَ الفشلَ هو النّجاح، فقال: النّجاح... هو أنْ تنتقل من فشلٍ إلى فشلٍ دونَ أن تفقِدَ حماسك .

ونحنُ نقول: إنّ الفشل الحقيقي يتحقّق، ويتأكّد؛ عندما تتوقّف عن المحاولة، وتخشى خوضَ التّجربة مرّة أخرى، وتتراجع، وتُهْمل الأخذَ بالأسباب، وتركن إلى الدّعة والرّاحة والكسل، وتستسلمُ للظّروف الرّاهنة؛ حينها أقول لك: هذا هو الفشلُ الحقيقيّ، وهذا هو تعريفُه، وتلك صوَرُه وأنواعه.

إنّ شيئًا من الصّبر والمثابرة يحوّلان الفشل إلى نجاح باهر، ويحقّقان الأهداف بتوفيق الله تعالى «وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وأَنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَرْبِ، وأَنَّ مَعَ العُسْرِ يُسرًا» رواه أحمد.

إيّاك أنْ تكون ذلك الشّخصَ الضعيف الذي له قلبٌ هشّ، يفضّل ما هو موجود على ما قدْ يكون موجودًا، وربّما كان فيه النّجاح والفلاح، لا تكنْ ذلك الشّخص الذي يرضى بالعصفور الذي في يده ولوْ كان ميّتًا لأنّه فقَدَ حرارة المحاولة والتجربة.

لوْ خافَ مخترعُ المصباح الكهربائيّ من الفشل لظللنا نعيشُ في الظلام!

ولوْ خاف مخترعُ الكهرباء من الفشل لكنّا نحيا حياة بدائية قديمة!

لوْ خاف مخترعُ البصمة من الفشل لصعبَ علينا ملاحقة المجرمين الهاربين!

لوْ خافَ مخترعو وسائل المواصلات الحديثة من الفشل لظلَلْنا نتنقل على الإبل والحمير!

فلا تحزنْ على خسارة، ولا تندمْ على إخفاق، ولا تقلقْ من مستقبل، فقط لا تستسلم.

زُبدةُ القوْل:

- لا تخفْ من الفشلِ، وحـاولْ، وإنْ فشلتَ في الأولـى والـثّانيـة؛ فستنجح في الـثّـالـثة، أو حتّـى العاشرة.
- افتحْ صفحةً جديدة، وأكملْ حياتَك بعزيمةٍ وإرادةٍ نحو الأفضل.
- تذكّرْ دائمًا أنّ «المؤمنُ الَقَويُّ خَيرٌ وَأحَبُّ إلَى اللهِ مَنَ المؤمِنِ الضَّعِيفِ» رواه مسلم.

وأخيرًا.. كنْ طموحًا بلا حدود

كنتُ أتجاذبُ أطرافَ الحديث مع أحدِ الأصدقاء فتذاكرنا أناسًا قد بلغوا درجة من المناصبِ الوظيفيّة، ومازالوا ماكثينَ فيها عشرين عامًا أو يزيدون، راضينَ بحالهم، متقوقعين في مكاتبهم، قابعين في غرفهم، ليس لديْهم طموحٌ ولا آمال مستقبليّة، لا يطوّرون أنفسهم من النّاحية العلميّة، ولا الإدارية؛ بل تعجب إنْ قلتُ لك لا يطمح أحدُهم في تغيير ديكور مكتبه!.

وإنْ تعجب فعجبٌ مِن هؤلاء، يظنّ أحدهم أنّه يملك عشرين سنة خبرة، وهو في الحقيقة لا يملك إلّا خبرة سنة واحدة مكرّرة؛ لأنّ عمله الرّوتيني لا يسمحُ له بأكثر من ذلك.

لا تقلْ لي: لعلّه قد حاول ولم ينجح! أو خاضَ التّجربة ولم يُفلح! لأنّني سأقول لك باختصار: بأنّ أقرانَه قد حقّقوا تقدّمًا، وقد جرتْ سنّة الله في الكون أنّ مَن بذل الأسباب جاءته النّتائجُ راغمة بإرادة الله.

ولا تقلْ لي: إنّه شخصٌ قنوع، يرضى بما قُسِم له؛ لأنّني سأقول لك: بأنّ البوْنَ كبيرٌ بين القناعة والطّموح، فالقناعةُ هي الرّضا بالمقسوم، والطّموحُ هو السّعي نحو النجاح والتقدم والرّقي.

سألتُ نفسي عن سببِ بقاء هؤلاء في أماكنهم، يسيرون بجوار الحوائط، لا يقحمون أنفسَهم في جوّ التّنافس والتّسابق الشريفيْن؛ فوجدتُ أنّ الإجابة تعود إلى أمريْن:

أوّلًا: أنّهم فقدوا الطموحَ والرّغبةَ في الارتقاء، فتعايشوا مع وضعهم القائم واسْتَطْيبوه ولم يفكّروا في أيّ تطوّر، فاكتفوا بأنّهم يعيشون! وهذا خلافُ العقل، وخلافُ ما خُلق الإنسان من أجله.

ثانيًا: أنّهم لديْهم رهبةٌ من خوْض غمار التّجارب، ومَن كان كذلك بقيَ في القاع.

ومَــن يتهيّب صعــودَ الجبالِ يعشْ أبَـــدَ الدهرِ بينَ الحفرْ

فكنْ طَموحًا، وطوّر من نفسِك، كالشّجرة تبدأ بذرةً صغيرة في التّربة، ثمّ تقوم ببناء جذورٍ لها في الأعماق، ثمّ تصعدُ شيئًا فشيئًا فوقَ الأرض، فتعلو وتكْبر، ومع مرور الأيّام تنتج الثّمار اليانعة، وفي كلّ موسم تقدّم النّفعَ للآخرين، أو على الأقلّ يستظلّ الخلقُ بظلّها، وتحدّث نفسَها بتغيير أوراقها، واستبدالها بأوراقَ جديدة، فتصبح كالعروس يومَ زفافها في كلّ موسم.

وأؤكّد لك أنّه بعد مرور الزّمن ستأسف، وتقرع سنّ النّدم على هذا التأخّر، يقول مارك توين: «عشرون عامًا من الآن، وستندمُ

على الأشياء التي لم تفعلها أكثرَ من ندمك على الأشياء التي قمتَ بفعلها؛ لذلك تحرّر مِن كلّ ما يعقّدك، أبحرْ بعيدًا عن الميناء الآمن، واجْرِ خلف الرّياح، تعلّم، احلم، واكتشف».

ويَحْسن لي أنْ أختم مقالي معكَ بأهمّ ما يميّز الشّخصَ الطّموح؛ لتضعَ هذه النقاط بين يديك، وتسعى لأنْ تكون طموحًا بلا حدود...

فالإنسانُ الطّموح يتميّز بأنّه:

١- لا يرضى بالعمل القليل، أوْ بمستواه الرّاهن؛ بل يعمل دائمًا على النّهوض بذاته.

٢- لا يعتقدُ أنّ مستقبله محدّد لا يمكن تغيره.

٣- لا يخشى المغامرة أو الفشل.

٤- لا يجزع إنْ لم تظهرِ النّتائج المرجوّة سريعًا.

٥- يتحمّل الصّعابَ للوصول لأهدافه.

فليكنْ شعارُك وشعاري: ﴿لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ ...﴾[الكهف: ٦٠].

ولتكنْ إرادتُك وإرادتي: «وَأَسْأَلُكَ عَزِيمَةً عَلَى الرُّشْدِ» رواه الطبراني.

زُبدةُ القوْل:

- إنّ قطارَ الحياةِ لا ينتظر أحدًا؛ لذلك يجبُ عليك البدْءُ بالتحرّك مِن الآن.
- لا تسمحْ لنفسِكَ بالعيشِ مُتَقوقعًا لأنّ ذلك سيحرمُك الكثيرَ من الفرص.
- عندما تجهلُ ذاتك، ولا تعرف قدْرَ نفسِك؛ حينَها تبقى بعيدًا عن الضّوء.
- إنسانٌ بلا طموح، كجسدٍ بلا روح، وشجرٍ بلا ثمر.

الخاتمة

وفي الختام، اسمحْ لي أنْ أقول لك: أنتَ تستحقّ الشّكرَ؛ فقدرتُك على قراءة ما ينفعك مؤشّرٌ كبير على علوّ همّتك، وقوّة طاقتك، ولعلّها انطلاقةٌ مباركة نحو تحقيق أهدافك، وتفعيل دورِك في دنيا الناس.

إنّ مِن النّاس مَن لا يعرف حقيقةَ قدراته التي وهبها الله- عزّ وجلّ- له؛ فيضيّع حياته وهوَ غارقٌ في متاهاتِ الغفلة، ولا يعرف أينَ هو؟ وماذا هو؟ وماذا حقَّق من نجاح؟ فيضيّع نفسَه وحياتَه، وأحيانًا حياةَ مَن هُم حوله، وتحتَ مسئوليّته دون معرفة ماذا يريد.

إنّ الله- سبحانه وتعالى- وضعَ بداخل كلّ إنسانٍ قدراتٍ وكنوزًا يستطيع الإنسان أن يظهرَها، ويستغلّها في تحقيق نجاحاتٍ عن طريق الاستخدام الصّحيح لها؛ لذلك لا تغفل عن القدراتِ التي رزقَكَ الله بها؛ لأنّ الغفلة تفقدُكَ الكثيرَ، وهي مذمومة.

فالمواهبُ مثلُ النّبتة؛ إذا ما تمَّت رعايتُها والاهتمامُ بها؛ نمَتْ وكبرت، وعادت بمنافعها الجميلة على راعيها، وكلِّ ناظرٍ إليها،

وإذا ما أُهملتْ ذبُلتْ وضعُفت حتّى تموت وتندثر.

«سبْحانَك اللّهمّ وبحمْدِك، أشهدُ أنْ لا إله إلّا أنت، أستغفرُك وأتوبُ إليك»

أستودعُكم الله، والحمدُ لله في البدْءِ والخِتام

mgsk202015@gmail.com

فهرس المحتويات